فاسا جيليزنوفا

الصياغة الثانية

كتب غوركي هذه المسرحية في ديسمبر ١٩٣٥ في القرم . ولم يتسن له ان يشاهدها معروضة على خشبة المسرح لأنـه توفي في حزيران ١٩٣٦ .

الشخصيات

فاسّا بوريسوفنا جيليزنوفا ، في حوالي الثانية والأربعين ، وتبدو أصغر من عمرها .

سيرغي بتروفيتش جيليزنوف ، زوجها ، في الستين ، قبطان متقاعد ، خدم في البحر الأسود ، ومن بعـــد على سفن نهرية .

بروخور بوريسوفيتش خرابوف ، شقيقهـــا في السابعـــة والخمسين .

لودميلا (لودا) في السادسة عشرة } ابنتاها .
ناتاليا (ناتا) في الثامنة عشرة }

راشيل ، كنّتها ، في حدود الثلاثين .

آنا (انيوتا) أونوشينكوفا ، تجاوزت الثلاثين ، أمينة سرها وموضع ثقتها

ميلنيكوف ، موظف في محكمة المقاطعة .

يفجيني ، ولده .

غوري كروتكيخ ، مدير شركة جيليزنوف-خرابوف الملاحية .

ليزا وبوليا ، خادمتان .

بياتيوركين ، عمره بين ٢٧ و٣٠ ، جندي سابق ، ويعمـــل الآن في الشركة . له جمة من شعر كثيف خشن وشارب مشذب .

الفصل الأول

غرفة رحبة في ركن من المنزل الذي عاشت فيه فاسا وقضت معظم أيامها خلال السنوات العشر الأخيرة . هنالك فوتيل خفيف ذو ذراعين ومقعد خشبي أمام مكتب ضخم . إلى جانبه خزانة حديد . على الجدار خارطة كبيرة ملونة للمجرى الأعلى والمجرى الأوسط لنهر الفولغا ، من مدينة ريبينسك إلى مدينة قازان . وتحت الخارطة أريكة عريضة فوقها سجادة وعدد من الوسائد . وفي وسط الغرفة منضدة بيضوية الشكل متوسطة الحجم ومقاعد مساندها الخلفية مرتفعة . أبواب مزدوجة زجاجية تؤدي إلى الشرفة المطلة على الحديقة . ونافذتان تطلان على الحديقة أيضاً . وثمة مقعد كبير منجد بالجلد . وعلى افريزي النافذتين أزهار الجيرانيوم . بالقرب من الجدار ، في الفراغ القائم بين النافذتين ، برميل شجرة غار . وهنالك رف صغير فوقه إبريق فضي ومغارف فضية مذهبة . باب قريب من الأريكة يوصل إلى حجرة النوم . وباب آخر ، قريب من المنضدة ، يُفضي إلى غرف أخرى . الوقت صباحاً . الغرفة مترعة بأشعة شمس أواخر شهر آذار المتسللة من النافذتين والأبواب المزدوجة الزجاجية . مما يثير في النفس مرحاً . إنها عموماً غرفة نيّرة فسيحة الجنبات تبعث على الغبطة . تدخل فاسا وكروتكيخ .

فاسيّا : ثلاثة روبلات ونصف مقابل ألف بود * — أي خمس وثلاثون جزء من كوبيك واحد للبود الواحد . إنه مبلغ زهيد من دون ريب لعمال تفريغ السفن وتحميلها في شركات نقل الركاب والشحن . إن عليهم أن ينقلوا أحمالهم على ظهورهم قرابة عشرين ساجين ** وأكثر . يربحون روبلاً واحداً يومياً بالمتوسط ، ولكنهم يأكلون كثيراً ولا يستطيعون الاستغناء عن اللحم في غدائهم . عليك أن تلفت الانتباه إلى ذلك . اطلب مقالة في الصحيفة حول هذا الموضوع ، واعثر على من يتحدث مع الحمالين بشأنه . هل ذلك في مقدورك ؟

كروتكيخ (مسروراً) : طبعاً !

فاسيّا : حسن ! هذه الشركات الملاحية الكبيرة تستوجب أن تنعصر . ولكن شركتنا صغيرة وشحناتنا ليست كبيرة . وما نحمله من شحنات يلقي به بحارتنا من فوق جانب السفن على الرصيف ، وهكذا لا نضطر إلى استخدام عمال تفريغ في كثير من الأحيان ، على ما هو معلوم لديك .

كروتكيخ : الامر ليس في هذا فقط . فإن مبلغ روبلين لكل ألف غير كافٍ بالنسبة إلى البحارة !

---

* بود مقياس الوزن الروسي القديم يوازي ١٦,٣ كغم **الناشر** .

** ساجين مقياس الطول الروسي القديم يساوي مترين و١٣ سنتم . **الناشر** .

فاستا : وفيم نعطيهم أكثر ؟ والآونة إذا عملتَ كيما ترفع «القوقاز – ميركوري» والشركات الأخرى اسعارها إلى خمسة روبلات لألف بود ، فسوف يفضّل الناس سفننا ، واذ ذاك نمنح بحارتنا زيادة . هكذا اذن ! أرجو المعذرة لا اوافق على المذكرة التي قدمتها .

كروتكيخ (عابساً) : لكن ، يا فاسا بوريسوفنا . . .

فاستا : لم لا تتحدث مع الخزافين ، وصغار الطحانين – مع الحرفيين الصغار عموماً ! خفّض الاسعار لهم قليلاً ليقدموا بضائعهم للنقل إلى شركتنا . سيفيدنا ذلك .

كروتكيخ (في أنفة) : لقد انهينا أعمالنا بصورة حسنة في السنة الماضية . وجنينا ربحاً طيباً !

فاستا : لِمَ بصورة طيبة دائماً ؟ يجب أن يكون أفضل وأفضل . والا ستكون الحياة مملة بهذه «الصورة الطيبة» . حسنا . مع السلامة ! فأشغالي تنتظرني .

(ينحني كروتكيخ في صمت ، ويخرج)

فاستا (مرهفة سمعها) : انيوتا !

(تدخل آنا)

فاستا : خذي ، انسخي من هذه صورة على عجل ! هل كان غوري متذمراً ؟

آنا : أجل ، لم يكن راضياً .

فاسّا : ماذا قال ؟
آنا : لم أسمعه تماماً . قال شيئاً عن النهج المحافظ .
فاسّا : من كل بدّ ! فهو يتخيل نفسه اشتراكياً ! والاشتراكية عنده بمثابة الله عند بروخور . إنه يصلي بتأثير العادة – وليس من قبيل الأيمان . لا تلقي بالاً إلى أحاديثه الطنّانة . . . ماذا ناقشتما البارحة ؟
آنا : كان يحدثني كيف كان الاشتراكيون الألمان يتعاملون مع ملكهم .
فاسّا : حذار أن تحملي في بطنك ولداً من جراء اشتراكيته هذه .
آنا : أبداً ! لقد حفظت درسي ! فهو يغازل ناتاليا سيرغييفنا .
فاسّا : أعرف . ولكن ناتا ليست غبية .
آنا : وهو يسعى وراء لودا أيضاً . . .
فاسّا : كم هو . . . متنوع الاهتمام . (يرن الهاتف .) نعم . هي أنا . مؤكد . سأنتظرك . إنه المستأجر لدينا – ميلنيكوف . (تشير إلى آنا بالخروج من الغرفة ، تقف عند المنضدة غارقة في التفكير ، ويداها تنبشان بين الأوراق والأشياء الموضوعة عليها . تحدق فيما أمامها عابسة .)
ميلنيكوف (من غرفة آنا) : أسعدت صباحاً ، يا سيدتي المحترمة .
فاسّا : أسعدتَ صباحاً . أدخل واغلق الباب . أرجوك أن تجلس . ما الأخبار ؟

ميلنيكوف : ليست أخباراً سارة . إن نتائج التحقيق الأولي أُرسلت إلى النائب العام . وقد أكّد لي المحقق انه لطّف الأمور قدر المستطاع .
فاسّا : مقابل الثلاثة آلاف التي قبضها كان يمكن أن يلطّف القضية تماماً .
ميلنيكوف : هذا مستحيل . قرأت شهادة تلك المرأة ، تلك القوادة . لقد أفرغت كــل ما في قلبهــا أمام كرسي الاعتراف .
فاسّا : إذن ، ستكون هنالك محاكمة ؟
ميلنيكوف : هذا أمر حتمي .
فاسّا : وما هي العقوبة ؟
ميلنيكوف : قد تكون الأشغال الشاقة .
فاسّا : وماذا تسمون انتم هذا . . . هذا الشيء ؟
ميلنيكوف : أي شيء على وجه الدقة ؟
فاسّا : هذا اللعب مع . . . القاصرات ؟
ميلنيكوف : التغرير .
فاسّا : يا للكلمة المقيتة ! وماذا سيحدث الآن ؟
ميلنيكوف : سيصدر النائب العام قرار الاتهام ، ثم يوجهونه الى المتهمين فيعتقلونهم .
فاسّا : الثلاثة جميعاً ؟ والقوادة أيضاً ؟
ميلنيكوف : دون ريب .
فاسّا : أيستطيع النائب العام أن يقوم . . . بأي تلطيف للأمور ؟
ميلنيكوف : أجل ، يستطيع . ولكن نائبنا ينوي ان يبنــي

مستقبلاً باهراً . وأشكّ أن يبدي تسامحاً . رغم أن هنالك اشاعات تقول ان من كان الى جانب المشتركين في . . . هذه الفعلة يبذل جهده . . .

فاستا : آه : اذن فلنحاول ذلك ، نحن أيضاً . فافعـــل ، أرجوك ، إفعل ما في طاقتك . اعرض على النائب العام عقد صفقة تفادياً للفضيحـــة . يجب أن أخمد هذه القضية ، أخمدها تماماً ! ان عندي ابنتين كما تعلم .

ميلنيكوف : أنا أحترمك ، يا فاستا بوريسوفنا ، وأقدّر لك سخاءك التقدير كله ولكن . . .

فاستا : اختصر كلامك ! سنتحدث عن السخاء بعد أن تخمد القضية بكل هدوء وعلى خير وجه . فابذل قصاراك !

ميلنيكوف : ولكنني لست قادراً على ذلك . أنا لا أستطيع أن أفعل ذلك .

فاستا : أنا لا أبخل بالمال في هذه القضيـــة ، فابق هذا في ذهنـــك ! اذا نجحت في مسعاك سأعيـــد اليك كل سنداتك ، وفي مقدوري أن أضيف اليها ألفاً وخمسمائة روبل . وهذا يجعل المبلغ كله خمسة آلاف . أفلا يكفي هذا ؟

ميلنيكوف : أجل ، ولكن . . . مع ذلك . . . أنا . . .

فاستا : اكمل بشجاعة اكبر !

ميلنيكوف : يكون أفضل لو أنك شخصياً . . .

فاستا : كلا ، سيكون سخاء كبيراً جداً مني بالنسبة للنائب العام ان أنحني أمامه . سأدفع له . موافقة على ذلك . ولكنني لن أوافق على الانحناء أمامه . وفضلاً عن هذا

فأنا غليظة وصريحة جداً ، ولا أستطيـــع أن أنجح في ذلك . إفعل ذلك حالاً ، وهذا النهار بالذات ، أتوسل اليك ! ثم اتصـــــل بي هاتفياً واخبرني عن المبلغ . أتمنى لك حظاً سعيداً . مفهوم ؟

ميلنيكوف : اسمحي لي بالانصراف . . . فأنا في عجلة من أمري للوصول الى المحكمة .

فاستا : أجل ، من دون ريب . أسرع ! (تجلس فترة مـــن الوقت مغلقة العينين ، ثم تفتح درجاً وتبحث فيه . تعثر على علبة صغيرة ، وتتفحص محتوياتها ، وهي تحركها بطرف مسكة ريشة . ترتفع ضجة عند الباب . تدسّ العلبة بسرعة في جيبها . تدخل لودميلا .)

لودميلا : مرحباً ، يا أماه ! لقد حلمت لتوي حلماً رائعــاً ، يا حبيبتي . كان في غاية الروعة !

فاستا (تقبلها) : الواقـــع رائـع أيضاً بالنسبـة اليــك ، يا عزيزتي لودا .

لودميلا : أصغي اليّ فقط .

فاستا : اروى لي ذلك خلال الغداء .

لودميلا : ستضحك ناتا مني عندئذ ، أو يقاطعني أحد ، أو أنسى أنا أحداث الحلم . فالأحلام أشياء ينساها المرء سريعاً جداً . يفضل ان تصغي الي هنا .

فاستا : كلا ، يا عزيزتي ، اذهبي عني الآن ! وقولي لليزا أن تحضر اليّ على الفور .

لودميلا : أوه ، يا الهي ! لكم أنت فظة اليوم !

فاستا (تزمجر وقد بقيت وحدها) : فظة . . . يا للحمقـــاء

الصغيرة . . . (تدخل ليزا .) يشكو أخي من أنك لا تطيعينه . فلم تشحمي له أقفاله .

ليزا : فاسّا بوريسوفنا ، ليس لدي وقت . يصعب عليّ كثيراً أن أرعى شؤون الجميع ، أنا وحيـــدة في البيت بأكمله ! جيئيني بفتاة تساعدني . . .

فاسّا : لا تتوقعي مني ذلك ! لا أطيق رؤيـــة أناس زائدين حواليّ في البيت . فإبنتايّ تساعدانك . وأنت تقبضين أجرة مجزيـــة . فابذلي جهدك . ولا تنامي كثيراً . هل شقيقي في البيت ؟

ليزا : كلا .

فاسّا : أخبري سيرغي بتروفيتش أني أريد رؤيته .

(تقف في وسط الغرفة مستغرقة في التفكير ، تفرقع بأصابعها وتتحسس جيبها . يدخل جيليزنوف في روبه ، شعره الأجعد غير مسرّح ، ووجنتاه وذقنه في حاجة الى حلاقة . وله شارب غليظ أشيب)

فاسّا : هل نهضت للتو من نومك أم أنـــك ستلجـــأ الى فراشك ؟

جيليزنوف : ماذا تريدين ؟

فاسّا (تغلق الباب المؤدي الى غرفة آنا أونوشينكوفا جيداً) : لا تصرخ . فلن تخيف به أحداً .

(يذهب جيليزنوف الى الباب الذي خرج منه)

فاسّا (تتجاوزه وتغلق هذا الباب أيضاً) : التهمة الموجهــة

اليك صدّق عليها النائب العام .

جيليزنوف (يتشبث بظهر أحد المقاعد) : لا أصدق ذلك ! أنت تكذبين !

فاسّا (في هدوء) : لقد صادق عليها .

جيليزنوف : لقد خسرت تسعة آلاف معـــه في لعب الورق ، ذلك الوغد . وقد نوّهتُ بأني سأعطيه أحد عشر ألفاً أخرى . . .

فاسّا : سيبلغونك قرار الاتهام في غضون أيام قليلة ، ثم يحضرون للقبض عليك ، والقائك في السجن .

جيليزنوف : لقد ضننتِ بالمال اذن ! ولم تدفعي ! أعطيتِ المحقق قليلاً . ولعلك لم تدفعي لميلنيكوف ما يكفي أيضاً . هيا ، اخبريني كم دفعت له ؟

فاسّا : التغرير بالقاصرات عقوبته الأشغال الشاقة .

جيليزنوف (يجلس وهو يهز رأســـه ، ثم يتحدث في صوت خشن) : وأنت مسرورة ، أليس كذلك ؟

فاسّا : ان لديك فتاتين في سن الزواج . فماذا يحلّ بهمـا عندما يرسلونك للاشغال الشاقة ؟ وأي رجل محترم يتزوج من احداهما ؟ ولك حفيـــد أيضاً . عن قريـب سيبلغ الخامسة من العمر . كنت أفضّل أن تقتـــل شخصاً من أن ترتكب مثل هذا العمل القذر !

جيليزنوف : كان يجب أن أقتلك – هذا ما كان ينبغــي أن أفعل ! أقتلك ، وأمزق قلبك القاسي ، وألقي به الى الكلاب . أنت من ضللني ، ورمى بي في هذه الورطة . أنت . . .

فاسنا : لا تكذب ، يا سيرغي . فذلك لن يساعدك . وعلى من تكذب ؟ على نفسك فقط . لا تكذب . الاصغاء اليك مقرف (تقترب من زوجها ، وتضع راحة يدها على جبهته ، وتدفع رأسه الى الوراء ، وتحدق في وجهه .) أرجو ألا تترك القضية تصل الى المحكمة كيلا تشين عائلتك . أنا لم أطلب منك أموراً كثيرة خلال حياتي معك – وهي حياة مضنية يندى لها الجبين خجلاً مع سكير وعاهر . وأطلب ذلك منك الآن ليس من أجل نفسي بل من أجل الأولاد .

جيليزنوف (مرتعباً) : ماذا تطلبين مني ؟ ماذا تريدين ؟ ماذا ؟

فاسنا : أنت تعرف ما أطلب منك .

جيليزنوف : لا ، أبداً ! لا . . .

فاسنا : أأجثو على ركبتيّ ؟ أجثو أنا أمامك انت !

جيليزنوف : ابتعدي . دعيني أذهب ! (يحاول النهوض .)

فاسنا (تضغط بيديها على كتفيه وترغمه على البقاء في مقعده) : خذ مسحوقاً .

جيليزنوف : اليك عني !

فاسنا : فكّر – ستذهب الى السجن ، ومن بعد يحضر أهل البلدة بأسرها الى المحكمة ليتفرجوا عليك ، وبعد ذلك ستموت ميتة طويلة بطيئة وأنت معتقل في الأشغال الشاقة . ستموت في الخزي ، والوحشة – ميتة رهيبة مخجلة ! أما بهذه الطريقة ففوراً ودون آلام أو خزي . يكفّ القلب عن الخفقان – وكأنك تغطّ في النوم .

جيليزنوف : اليك عني ! فليحاكموني . لست أبالي .
فاسّا : وماذا بشأن الأولاد ؟ والفضيحة ؟
جيليزنوف : سأطلب نفيي الى أحد الأديرة . سأصير راهباً . ناسكاً . سأعيش تحت الأرض ، في كهف – ولكنـــي سأعيش !
فاسّا : سخافات ! خذ المسحوق !
جيليزنوف (ينهض واقفاً) : كلا . . . لن آخذه ! لـن آخـذ منك شيئاً . . .
فاسّا : خذه بنفسك .
جيليزنوف : واذا لم أفعل ؟ هل تدسين لي السمّ ؟
فاسّا : سيرغي ، اذكر فتاتيك ! ان أمامهما حياتهما . الاولاد غير مسؤولين عن أفعال آبائهم الدنيئة .
جيليزنوف : وأمهاتهم ؟
فاسّا : هراء ما قلت . إفهـم هذا ، يا سيرغي ، فلن أقف صامتة في المحكمة . سأتكلـم عن المومسات اللواتي كنت تحضرهن الى بيتي ، وكيف فسقت معهنّ ، وكيف أطلعت ناتاليا ولودميلا على عصبة الفاجرات . وسأروي لهم كيف علـّمت ابنتيك على الشراب . . .
جيليزنوف : هذا كذب ! انه بروخور ، شقيقك ، من علـّمهما على الشراب . بروخور !
فاسّا : وقد أرعبتَ لودا فأصبحت شبه معتوهة . وهي لم تعد قادرة على الدراسة أو تصلح لأي شيء كان .
جيليزنوف : أما ناتاليا فصورة طبق الأصل عنك !

فاسّا : استوعبْ هذا جيداً – سأخبر المحكمة بكل شيء ، وأخبر الناس جميعاً !

جيليزنوف (يقف أمامها ويصرخ) : ابتعدي ! يرعبني النظر اليك ! دعيني أمرّ ! (يدفعهـــــا جانباً ويخطو صوب الباب)

فاسّا (تلحق به) : خذ المسحوق ، يا سيرغي . . .

جيليزنوف : أبداً ! (يخرجان . تظهر ليزا عند الباب . تحمل صينية عليها عدة اقفال مختلفة الاشكال يتبعها بروخور خرابوف الى الغرفة حاملاً قفلاً ضخماً)

بروخور (عابساً) : فيم كانا يتخاصمان ؟

ليزا : لست أدري . كانت تحثّه على تناول بعض المسحوق أو غيره . . . هذا كل ما سمعت .

بروخور : أي مسحوق ؟

ليزا : دواء ، على ما يتراءى لي .

بروخور : أي دواء ؟

ليزا : من أين لي أن أعلم !

بروخور : أنت غبية ! ليس سيرغي في حاجة الى أي دواء . فهو يتمتع بصحة جيدة مثل ثور . كنا نلعب الورق حتى الساعة الرابعة صباحاً ونشرب الكونياك طوال الوقت .

ليزا : لعلّها قصدت مسحوق الصودا .

بروخور : انت غبية ثانيـــــة ! ليس من يحتاج الى مسحوق الصودا بعد الكونياك . فيم تقفين هنا ؟ ضعي الأقفال على المنضدة . فأنت لا تلاحظين شيئـــــاً ! لا تعرفين شيئاً ! فلماذا أقدم لك الهدايا ؟

ليزا : أعطيت لاحشائي هدية ! وسرعان ما سيراها الناس .

بروخور : حسن لو كنت انا الفاعل وليس بياتيوركين . انقلي هذا المقعد العريض . فالشمس تتلف الجلد ، وقد كلفنا خمسة وستين روبلاً .

ليزا : قصدت الشمس ؟

بروخور : المقعد ، وهو هديتي لشقيقتي ! الشمس لا تكلّف شيئاً . مهلاً ! ما هذا ؟ أتحاولين مداعبتي بالمزاح ؟ لا تنسي مكانك ! الشمس ! لقد دللتك شقيقتي مثلما تدلل العانس قطتها . أخرجي من هنا ! (يمعن النظر الى الأوراق على المنضدة ويعطس ، ثم يشرع يغني كالرهبان)

خريف كئيب بلون الخطيئة
وفي الدرب تمشي فتاة وحيدة
تهاوت وكانت . . . وكانت بريئة
وفي بطنها العبل . . .

ناتاليا (تدخل الى الغرفة) : يا لليوم الجميل . . .

بروخور : هذا ما لا نعرفه بعد ، فالنهار ما برح في بدايته . فيم انت بهذا الشكل ؟ شعرك منفوش ولباسك اخرق . . .

ناتاليا : اسمع . لقد قرروا محاكمة والدي .

بروخور (مذعوراً) : من قال هذا ؟

ناتاليا : يفجيني ميلنيكوف .

بروخور (يجلس) : اللعنة والدمار ! القبطان لم يفلت من ذلك اذن . آل جيليزنوف ! وآل خرابوف . . . هذا

الاسم الذي كان عريقاً ومحترماً ! وهذا ما انتهينا اليه ! لقد قاد القبطان سفينتنا الى سبيـــل رائع . أي خزي ينتظرنا ! سنشبع جميعاً خزياً حتى آخر يوم في حياتنا .

ناتاليا : قد يبرئ القضاء ساحته ؟

بروخور : ليست المشكلة هنا ! بل المحاكمة ، والعار . وقد يجدونه مذنباً فهذه هي الموضة في هذه الأيام . . . اذا كان المرء غنياً فهو مذنب اذن . مصيبة أن يكون المرء غنياً ! حاولي أن تفهمـــي – هم لن يحاكموا القبطان جيليزنوف بقدر ما سيحاكموننا نحن ، آل خرابوف .

ناتاليا : ألا يمكننا أن نفعل شيئاً ؟

بروخور : أن نهرب الى اميركا حيث يلجأ جميع اللصوص .

ناتاليا : ورشوة القضاة ؟

بروخور : فعلنا ذلك . فقد دفعت أختي ألوف الروبلات لخنق الفضيحة . قبضت الشرطة جزءاً ، وقبض المحقـــق جزءاً . لم يجد ذلك نفعاً اذن . ولن تتاح لي الآن فرصة أن أغدو عمدة للمدينة ، وأنت ولودميلا لن تستطيعا الزواج برجلين من طبقتكما رغم بائنتيكما . لقد لوثكما والدكما ، ذلك الوغد النذل ! لكم كانت بلهاء . . .

ناتاليا : مَنْ . . . أمي ؟

بروخور : طبعاً .

ناتاليا : هي ليست بلهاء .

بروخور : أي شيطان دفعها الى اذن الزواج من ذلك القبطان ؟ ويكبرها بعشرين سنة تقريباً .

ناتاليا : أنت أقنعتها . فهو صديقك .

بروخور : أنا فعلت ؟ أنا ؟ أنا سابح في دنيا الخيال ! أنا من طراز رقيق . فنان بطبعي . حين كنت شاباً أردت أن أصير ممثلاً كوميدياً في ملهاة موسيقية . ولكنه كان يجوب البحار السبعة ! واذن ؟ ثمة أقذار كثيرة تطفو على البحر !

ناتاليا : هل كانت تحبه ؟

بروخور : اذهبي الى الشيطان ! ليس هو الحب حين تتزوج فتاة من خارج فئتها وتنفصل عنها ، بل هو الجنون ! فقط لأن الأرستقراطيين كانوا يتزوجون من الغجريات والممثلات ، ولكن هذا لا يغدو مثالاً تسير فئتنا على هديه !

فاسا : ما الذي لا يغدو مثالاً تسير على هَدْيه ؟

بروخور : كنت وناتاليا نتحدث . . .

فاسا : أرى هذا تماماً .

بروخور : كيف حال سيرغي ؟

فاسا : لا بأس . انه يشكو من قلبه . ناتا ، اذهبي واطلبي اليهم أن يأتوني بقليل من الشاي .

ناتاليا : الافضل ان تقولي صراحة ان وجودي يضايقك .

فاسا : أجل ، وجودك يضايقني . وأنا لم أشرب الشاي بعد . (الى بروخور .) فيم كنت تصرخ ؟

بروخور : هنالك ما يرغم المرء على أن يصرخ ! ألم تستطيعي الحيلولة دون وصول الأمر الى القضاء ؟

فاسا : لا تخبر الفتاتين بهذا الموضوع بعد . سأخبرهما بنفسي .

بروخور : ناتاليا عرفت به . وقد أخبرتني بذلك .
فاسّا : من أخبرها ؟

(تدخل لودميلا هادئة الخطوات)

بروخور : ابن ميلنيكوف . لا ينبغي على الفتاتين أن تستقبلاه مثلما تفعلان .

لودميلا : انه ظريف ونحن نشكو من السأم ! وصديقاتنا يمرضن على الدوام ولا يزرننا .

فاسّا : اذهبي وساعدي ليزا في تنظيف الغرف ، يا لودا .

لودميلا : أريد البقاء معك . لماذا تبعدينني دائماً ؟

فاسّا : لأنني مشغولة ، يا عزيزتي . ان لديّ عملاً ألتفت اليه .

لودميلا : أنت وعملك على الدوام ! ولا توفرين دقيقة واحدة لابنتك !

فاسّا : حسناً ، عودي أثناء تناولي الشاي ، وسنتحدث . أما الآن فاذهبي !

لودميلا : ذلك يجعلني على حافة البكاء . أعرف أنك ستلومين الخال بروخور لأنه نعت والدي بالفاجر ، أعرف هذا جيداً !

فاسّا (تداعب شعر ابنتها ، وترافقها حتى الباب) : الفاجر ليست كلمة بذيئة . انها تعني بالضبط العثور على السبيل . بعضهم ضلّ سواء السبيل ، وهو يعثر لهم

عليه . مثلي أنا . فلقد كنت أبحث عن السبيل للخروج من هذا التيه طوال عمري . . .

لودميلا : أنت تمزحين ! أنا أعرف ما معنى كلمة فاجـــر ! الفاجر هو الخال بروخور .

(تحاول فاسّا اغلاق الباب خلفها ، فلا توفّق)

لودميلا (تفلت من تحت ذراع أمها) : انه فاجر . لقد حملت ليزا منه . وهو يشتم أبي باستمرار ، فهو لا يحبه .

بروخور : أنت واهمة ! ولكن الشيوخ يبخلون بحبهم عادة .

لودميلا : وأنت لا تحبينه أيضاً ، أليس كذلك ، يا أمي ؟

فاسّا : هذا يكفي . يكفي .

لودميلا : لماذا لا تحبينه ؟ خالي رجل سكّير أيضاً ، ولكنك تحبينه . . . الادمان على الشراب مرض . يقول جينيا * ميلنيكوف . . .

بروخور : هذا المصدر للحكمة ! عليه اللعنة !

لودميلا : انه مثل وجع البطن وانه . . .

(تدخل ليزا حاملة سماورا صغيراً . تتبعها ناتاليا تحمـــل صينية عليها أدوات الشاي . تعانق فاسّا ابنتهـا وتجوس أرض الغرفة كمن يرهف السمع الى شيء ما . انها مضطربة

---

* جينيا اسم التدليل من اسم يفجيني . **الناشر** .

ولكنها تخفي هذا الاضطراب . تتوقف أخيراً وتوجه انتباهها الى الأقفال)

فاسّا (الى شقيقها) : أما برحت تستمتع بهذه اللعبة ؟ألم تسأمها بعد ؟

بروخور : انها لعبة لا تكلّف كثيراً . وقد لا تكون لعبة على الاطلاق ؟

فاسّا : ما هي اذن ؟

بروخور : من يدري ؟ ليس هنالك من يجمع الأقفال القديمة غيري . وهكذا ، فانا أختلف عن الناس جميعاً ! اجل . القفل شيء عظيم ! فكل شيء في هذا العالم يغلق عليه بقفل ومفتاح ، كل شيء مصان بهما . ولو لم يتعلم الناس أن يقفلوا على أملاكهم لما كانت هناك أملاك البتة . أنت لا يمكن أن تدربي حصاناً من دون لجام .

فاسّا : هذه هي فكرتك اذن ! وفيها شيء من الحكمة . صبي الشاي ، يا ناتاليا .

بروخور (يراقبها) : تزعمين أني أبعثر نقودي ، ولكنني دفعت سبعة روبلات ثمن هذا القفل الضخم ، والآن يوجد شخص يودّ أن يشتريه بخمسة وعشرين روبلاً . سأجمع ألفاً من الأقفال وأبيعها على أحد المتاحف — بحوالي عشرين ألف روبل .

فاسّا : حسناً ! حسناً ! لينزل الله عليك هذا الحظ . (الى لودميلا فجأة ، وفي صوت مرتفع .) . أحببت والدك يوم لم اتجاوز الخامسة عشرة بعد . وتزوجنا وأنا في

السادسة عشرة . هكذا اذن . وفي السابعة عشرة ، وأنا حبلى بفيودور ، وفي احد الاعياد – وهو عيـــد الثالوث المقدس الذي تحبه جميع الفتيات – أسقطت اثناء تناول الشاي شيئاً من القشدة على جزمة زوجي . فأرغمني على لعقها بلساني . وقد فعلت ذلـك – في حضور أناس غرباء أيضاً . لم تكن عائلتنـــا – آل خرابوف – محترمة عند الناس .

لودميلا : أوه ، يا أماه ! فيم تروين لنا هذا ؟

(ناتاليا تراقب أمها في انتباه من وراء السماور)

فاسّا : كان فتى مرحاً . يملأ أيامنا سروراً .

لودميلا : هل كان يمزح ؟

فاسّا : هل تذكرين ، يا ناتاليا ، كيف حفرت ثقباً في الجدار لمراقبة ملاهي والدك ؟

ناتاليا : اذكر .

فاسّا : ثم جئت اليّ راكضة والدموع في عينيك تصيحين : «اطرديهن من البيت ، اطرديهن !»

ناتاليا : اذكر . اتعقدين محكمة عائلية ؟

بروخور : أوه ، يا للأفعى !

فاسّا : وهكذا ، فأنت تذكرين ، يا ناتاليا ؟ هذا جيد ! لا يجوز للناس أن يعيشوا دون ذكريات . لقد حملت منه تسعة أطفال ، لم يبق منهم غير ثلاثة . ولد أحدهم ميتاً ، وطفلتان لم تبلغ كل منهما سنة واحدة ، وطفلان

سلاماً أن يعيش المرء وحيدا – عندهـــا يكون سيّد هكذا كان الامر ، يا فتاتيّ ! أقول لكما هذا كله كيلا تستعجلا الزواج .

لودميلا : أنت لم تخبرينا أبداً بمثل هذه الأمور من قبل .

فاسّا : لم يكن لديّ وقت .

لودميلا : لماذا مات الجميع وبقينا نحن ؟

فاسّا : لقد كنتم على شيء من الحظ . مات الآخرون لأنهـــم ولدوا ضعفاء ، وولدوا ضعفاء لأن والدك كان يسكـر كثيراً وكان يضربني باستمرار . وخالك بروخور عـلى علم بذلك .

بروخور : أجل ، كان يضربها ! هذا ما كان حقاً . وكان عليّ أن أنقذها من بين يديّ القبطان . لقد تعلّم في البحر كيف يضرب ، فمارس هذا العلم جيداً !

لودميلا : ولماذا لم تتزوج أنت ؟

بروخور : تزوجت مرة . ثمة أغنيـــــة في احـدى المهازل الموسيقية :

رأيت الزواج طريفا يسيرا
واما الحياة معا . . . آه منها

لودميلا : أنت تنشد جميع أغانيك بنغمة واحدة .

بروخور : تكون أسهل على هذا الغرار – فأستطيـــع تذكـر الكلمات بشكل أفضل . عشت مع امرأتي أربـــع سنوات . ولم أستطع الاحتمال أكثر من ذلك . أكثـر

سلاماً أن يعيش المرء وحيدا – عندهـا يكـون سيّد نفسه . لماذا يمتلك المرء خيولاً طالما أن هنالـــك كثرة من الخيول الممتازة بالاجرة ؟

ناتاليا : هل سيعيش فيودور معنا ؟

فاستا : طبعاً . بعد ان تتحسن صحته .

ناتاليا : وراشيل ؟

فاستا : وكيف لا ؟ فهي زوجته .

لودميلا : يالها من لطيفة جداً !

ناتاليا : هل يجيئان للعيش معنا – بعد محاكمة والدنا ؟

فاستا (منفجرة غضباً) : أنـــت تطرحين اسئلـــة كثيرة ، يا ناتاليا ! وفضولك ليس طيباً .

لودميلا : لا تغضبي ! لا تغضبي !

ليزا (وقد امتلأت رعباً) : فاستا بوريسوفنا . . . ان سيرغي بتروفيتش . . .

فاستا (كأنها تترنح . بصوت هادئ) : ماذا ؟ هل يطلبني ؟

ليزا : يبدو أنه مات . . .

فاستا (غاضبة) : أنت مجنونة ! (تخرج متسارعة . تلحق لودميلا بها . تهب ناتاليا على قدميها وتنظر الى خالها . فينظر هو اليها مرتبكاً)

بروخور : أنا . . . ساقاي ترتجفان ! اذهبي ، يا ناتـــا . اذهبي ! واعرفي ماذا حدث هنالك ؟

ناتاليا : اذا كان مات فلن تكون هنالك أية محاكمة ، أليس كذلك ؟

بروخور : أقول لك اذهبي ! (حينما يصبح وحيداً يشرب

شاياً بارداً ويتمتم لنفسه .) هكذا اذن ، اللعنـة !
بررر !

ليزا (تندفع راكضة ، وتتحدث في صوت خافـت مرعوب) : بروخور بوريسوفيتش ، كيف هذا ؟ كان في صحــة جيدة . . .

بروخور : لم تسألين كيف هذا ؟ كان حياً ، والآن لم يعــد كذلك ! أو لعله أغمي عليه ؟

ليزا : كان في صحة جيدة . . . بروخور بوريسوفيتش – ذلك المسحوق . . .

بروخور (مصعوقاً) : م . . اذ . . ا ؟ هل أنت . . . (يقبض على عنقها غاضباً ويهزها .) اذا أنت لم تنسي يــــا قبيحة . . . اذا أنت – كيف ، أيتهـا الأفعى ! ماذا تخترعين ، قولي ؟ كيف تجرؤين ؟ (يدفعها عنه ويمسح العرق عن صلعته)

ليزا : لكن أنت الذي أمرتني أن أخبرك بكل شيء .

بروخور : تخبرينني بأي شيء ؟ ما تشاهدين وتسمعين – هذا هو ! لكن ، ماذا شاهدت ؟ لقــد لفّقت هذا ! لف . . . ق . . . تيه . . . ه ! ولم تشاهديه ! أخرجي ، أيتها البلهاء ! مسحوق ! سأعطيك مسحوقاً ! انسي وقع هذه الكلمة . . .

(يدفعها خارجاً ، ويراوح في الغرفة ويغادي في وحشية . حين يصل الى الباب يبدو عاجزاً عن متابعة خطواته . تدخل فاسّا ولودميلا يتبعهما بياتيوركين)

بروخور : ماذا به ، يا فاسـّا ؟ أهذا صحيح ؟
فاسـّا : أجل . لقد مات .
لودميلا : أماه ، أيمكن اخذ شجرة غار ؟
فاسـّا : أجل . خذيها .

(بياتيوركين يدفع برميل الشجرة مدوراً اياه في الغرفة . ترفع لودميلا الأزهار عن حفاف النافذتين وتخرج ، ثم تعود أدراجها على الفور)

بروخور : عجيب . ماذا أصابه ؟ كان في صحة تامـــة . حتى الساعة الرابعة صباحاً كنا . .
فاسـّا : تشربان الكونياك .
بروخور : هذا صحيح . وكانت ليزا تخبرني قبل قليل – المسحوق الذي انت . . .
فاسـّا : كان يشكو من حرقة في المعدة . وطلب مسحـــوق الصودا .
بروخور (في لهفة) : مسحوق الصودا ؟ هه !
لودميلا : انت فظيع أيها الخال بروخور ! مات بابا لتوّه وأنت تبتسم . كيف تفعل ؟
بروخور : لا تبالي ، عزيزتي لودا . . .
فاسـّا (على الهاتف) : ستة ، خمسة ، ثلاثة . أجل . شكراً . من ؟ أهذا أنت ، يا ياكـوف لفوفيتش ؟ أرجوك أن تحضر حالاً . أجل حالاً . بلى ، سيرغـي بتروفيتش

مات . كلا ، كانت صحته جيدة تماماً . فجأة . لم يشاهد أحد كيف حدث ذلك . . . أرجوك .

بروخور (بصوت خافت وباعجاب) : أنت رائعة والله ، يا فاسّا !

فاسّا (مذهولة) : ما هذا ؟ عماذا تثرثر ؟ استردَّ صوابك ! أيها الأحمق . . .

ستار

الفصل الثاني

بعيد عدة شهور . الحجرة البهيجة ذاتها . فاسّا جالسة على المقعد الجلدي الوثير . لودميلا وناتاليا وآنا ويفجيني ميلنيكوف يجلسون على الكنبة . لقد انتهوا من تناول الشاي ، ولكن السماور وأدوات الشاي لا تزال على المنضدة . الوقت مساء . مصباح يلتهب ولكن الغرفة تسودها عتمة خفيفة . في الحديقة ضوء قمر واشجار سود .

فاسّا : حسناً ، لقد أخبرتكم عن عادات الزواج القديمة ، وأخبرتكم عن كيف كان الأزواج والزوجات يعيشون في غابر الزمان . . .

آنا (في رقة) : كانت حياتهم رهيبة .

ناتاليا : وحمقاء جداً .

لودميلا : لماذا الناس تعساء ، يا فاسّا ؟

يفجيني : لأنهم حمقى .

فاسّا : لست أدري سبب تعاستهم ، يا لودا . أونيجين * وناتاليا هنا يعرفان – ويقولان انه من الغباء . وبعضهم يقولون – وأنا نفسي رأيت ذلك – ان الأذكياء أكثر تعاسة من الحمقى .

* اشارة الى بطل قصيدة الشاعر بوشكين «يفجيني اونيجين» . **المترجم** .

يفجيني : اذا قبلنا واقع أن الأغنياء أكثر ذكاء من الفقراء . . .

فاسّا : طبعاً ، الأغنياء أكثر ذكاء ، ولكنهم يعيشون حياة وضيعة تعيسة . والغني عاجز عن أن يمرح ويستمتع مثلما يفعل الفقير .

آنا : هذا صحيح .

ناتاليا : اذن ينبغي على المرء أن يعيش في الفقر .

فاسّا : هكذا بالضبط . أجل ، تماماً . حاولي ذلك ، يا ناتا . جربي . تزوجي أونيجين وعيشي على هذا الغرار . لسوف يغدو ملازماً ثانياً في المشاة وتصيرين أنت زوجة ضابط . هذا الصنف موجود . لن تحصلي مني على أي بائنة ، وهكذا ستعيشان على أربعين روبلاً في الشهر . وبهذا المبلغ يجب أن تؤمنا الكسوة والطعام والشراب واستقبال الضيوف واكرامهم . كما أنكما ستنجبان الاطفال وبين ايديكما نفس المبلغ أيضاً ، كما . . .

ناتاليا : لن أنجب أطفالاً على الاطلاق . لماذا أزيد عدد التعساء في هذا العالم ؟

فاسّا : هذا أمر غاية في الحكمة من دون ريب . فيم تفعلين ذلك حقاً ؟ اذن ، ياأونيجين ما ينتظرك هو أربعون روبلاً في الشهر ، وجندي خادم يشوي لكما كوستاليتا من لحم رخيص قاسي الألياف يومياً .

يفجيني (مقطباً) : قد أنتقل الى البحرية . . .

لودميلا : أنا الأخرى لن أتزوج قط — فالزواج رهيب جداً !

سأسافر بالأحرى وأتفرّج على جميع حدائق النباتات والمستنبتات الزجاجية والمروج الجبلية . . .

ناتاليا : يجب تبديل كل شيء – الزواج ، والحياة نفسها ، وكل شيء !

فاسّا : باشري تبديلها اذن . وسيطلعك غوري كروتكيخ من أين تبدأين .

ناتاليا : أعرف من دونه . الثورة هي البداية !

فاسّا : لقد اشتعلت الثورة وانطفأت – ولم يبق منها غير الدخان .

آنا : أتقصدين دوما الدولة ؟

فاسّا : ذلك أيضاً . انه أشبه بكومة من الجمرات الخامدة . الحطب الرطب لا يحترق جيداً . ولكن غوري كروتكيخ سيعلمك كيف تفعلين . انه يعلمني كيف أدبر شؤون بيتي بمائتي روبل شهرياً ، وسيعلمك كيف تحققين الثورة بحوالي خمسة عشر – أي بخمسين كوبيكاً للدرس الواحد . حين دخل خدمتي كان سرواله بالياً ، ولكنني رأيت زوجته في المسرح منذ فترة . يلتمع عليها شيء ما من الذهب . هكذا الأمور ، يا فتاتيّ ! وهكذا ستصير بحاراً ، يا أونيجين ؟

يفجيني : لم أتخذ قراري بعد . لماذا تنادينني أونيجين ؟

فاسّا : إتخذ قرارك . حان الوقت كي تصير ضابطاً ، ولكنك لا تبرح طالباً في الكلية العسكرية . وأنا أناديك أونيجين . . .

ناتاليا : انه لا يشبه أونيجين ألبتة .

فاسا : لا يشبهه ؟ ولكنه متشامخ مثله تماماً . حسنـاً ،
لا تبالي . مؤكد ، يا ناتا ، فأنت تعرفين مَنْ يشبهـه
اكثر مني .
ناتاليا : انه لا يشبه أحداً .
فاسا: من البشر ؟
يفجيني (غاضباً) : لا أستطيع مطلقاً أن أميّز متى تمزحين ،
ومتى تجدّين . يا له من اسلوب غريب في الكلام !
فاسا : لا تغضب ولا تزعــل . الاحرى ان تميّز الامور .
إسمع ما أحدّثك . حين وقع اضراب في حوضنا الخاص
بتصليح السفن وجاء الجنود ، قال أحد الميكانيكيين ،
ويدعى فيزلومتسيف ، للملازم الثاني : «أنت تقبض
أربعين روبلاً شهرياً ، يا صاحب السعادة ، وأنا أقبض
خمسة وسبعين ، وفي مقدوري رفع المبلغ الى مائة اذا
حاولت . ولذلك ، وطالما أنت تخدم الأغنياء ، وأنـا
أكثر منك ثروة ، فلا يليق لك أن تصيح في وجه رجل
ثري مثلي» .
يفجيني : لا أرى في هذه القصة شيئاً من نفع .
ناتاليا : أمي تحب اغاظة الناس .
فاسا : هذا هو ذنبي . أنا عدو للناس .
لودميلا : ليس هذا صحيحاً ، يا فاسا !
فاسا : بلى ، هو صحيح . انا عدو لهم . حسناً ، حسبكم هذا !
لقد تحدثنا ، وثرثرنا . فالى غرفتيكما ، يا فتاتيّ . ان
لدي عملاً — يجب تدبير أمورنا . أنت ابقـي معي ،
يا آنا . هيا اخرجوا ، اخرجوا ! سنلتقي على العشاء . (الى

آنا) أصحيح أن والد يفجيني إنضم الى «اتحاد الشعب الروسي» * ؟

آنا : أجل ، صحيح .

فاسـّا : فعل ذلك ، الأحمق ، من أجل ولده . فهم ينوون طرد يفجيني من الكلية العسكرية . أخشى أن ينتهي هذا النذل الى افساد ابنتي .

آنا : اعتقد ان السآمة تدفع ناتاليا لان توليه اهتماماً .

فاسـّا : الحاقدون لا يعرفون سآمة .

آنا : أصبحت متجهمة جداً منذ وفاة أبيها . ثم ان الأقاويـل بالطبع . . .

فاسـّا : وهل تستمرّ هذه الأقاويل ؟

آنا : أجل .

فاسـّا : وتصدقينها ؟

آنا : كلا . ما أقلقني حقاً هو انتحار ليزا . لا أفقـه لماذا فعلتْ ذلك . كانت فتاة طيبة . وعاشت لديكم منـذ طفولتها . ويحبها الجميع .

فاسـّا : انها فعلة بروخور . أنه أخافها بوسيلة ما .

آنا : هل كانت تعيش معه ؟

فاسـّا : أرغمها على ذلك . ألا يصدّق الناس أن ليزا اختنقت من الدخان في الحمام ؟

---

* منظمة رجعية تشكلت في اكتوبر ١٩٠٥ ودامت حتى ثورة فبراير ١٩١٧ . كانت لها فروع في كثير من المدن . **الناشر** .

آنا : قليلون من الناس وحسب .

(تدخل بوليا)

فاسّا : ماذا تريدين ؟ فيم وقوفك هنا مترددة ؟ تكلمي .
بوليا (في هدوء) : هنالك امرأة في الباب .
فاسّا : من ؟ في مثل هذا الوقت من الليل ؟
بوليا : اسمها صعب علي . . . فلانة مويسييفنا .
فاسّا : م . . . . ن ؟ (تسرع ناحية الباب ، ولكنها تقف وتخاطب آنّا .) لا تقولي للفتاتين شيئاً . فلتكن مفاجأة لهما . ولا تأذني لأحد بدخول هذه الغرفة . (الى بوليا) خذي هذا السماور واحضري الصغير . (تخرج)
آنا : حسناً ، أنت تعتادين على الأمور ؟
بوليا : انه عمل مرهق . حسبت أنني سأخدم الآنستين فقط ، وسيكون للسيدة وصيفتها . وبروخور بوريسوفيتش يحتاج الى خادم خاص ، ولا أستطيع أن أخدمه .
آنا : هل يعاكسك ؟
بوليا : انه عديم الحياء لا يعرف للخجل معنى ! وهو الآن يتواثب هنا وهناك في قميصه الداخلي فقط مردداً دائماً الأغنية ذاتها . البارحة ، حين أوى الجميع الى مضاجعهم ليلاً ، استمرّ هو في هز أقفاله وغنائه . انه يسبب لي الملالة حقاً . ما باله ، يا آنا فاسيلييفنا ؟

أنّا : ليس هو سليم العقل تماماً . فهو مدمن . وبكلمات أخرى سكّير .

بوليا : وأنا شاكرة جداً لك . فالبيت بيت طيب .

آنّا : تقصدين القول فيما عدا أهله ، أليس كذلك ؟

بوليا : ليس لي الحق في الحكم . لقد حوكمت مرة ، في المحكمة . ولكنني أظهرت براءتي . غير أني كنت في السجن . وفضلاً عن ذلك ، فقد أخبروني أن الخادم التي كانت تعمل قبلي شنقت نفسها في الحمام .

آنّا : هذا كذب . لقد خنقها الدخان في الحمام . حدث ذلك حينما كانت تسخن الماء . وكانت حاملاً .

بوليا : هكذا اذن ، أترين – لقد كانت حبلى !

لودميلا (تدخل حاملة مقعداً مدوراً صغيراً لا ظهر له ، يلحق بها بياتيوركين يحمل نبتة في برميل صغير) : ضعها هنا ، فهي تحتاج الى كثير من الشمس . لا ، ليس هنا – في الوسط .

بياتيوركين : حاضر . أهكذا ؟ (طرح هذا السؤال وقد ركع على ركبته)

لودميلا : جيد . يا لشعرك المخيف ! لا ريبة أنه خشن قاس !

بياتيوركين : أبداً . إلمسيه .

لودميلا (تلمس شعره) : مثل جمة الأسد .

بياتيوركين : أصبت . فألجميع يقولون ذلك .

لودميلا : من هم الجميع ؟

بياتيوركين : انهم معارفي . الناس عموماً .

لودميلا : وفيم أنت راكع ؟

بياتيوركين : من دواعي سروري أن أركع أمامك .

لودميلا : أنت الآن . . . تختلق الأمور ! فأنا لن أركع ابداً أمام رجل .

بياتيوركين : لا حاجة بك لذلك . فهو الذي سيركع أمامك . . . في مقدورك أن تفعلي بالرجل أي شيء يرغب فيه فضولك .

لودميلا : لا أريد أن أفعل شيئاً . ولن أفعل .

بياتيوركين : أنت وما تريدين .

لودميلا : رويدك برهة ، وسأسأل الجنائني ما يجب أخذه من هنا . (تخرج)

آنّا (من غرفتها) : أنت تعض ما هو أكبر من أن تستطيع مضغه ، يا بياتيوركين .

بياتيوركين : لا تكوني غيورة . من يدري ؟ كل شيء يمكن ان يحدث . كل شيء جدير بالمحاولة .

آنّا : لو سمعت فاستا خطبك . . .

بياتيوركين : ممّن ستسمع ؟

آنّا : ستطردك من البيت على الفور .

بياتيوركين : أنت لن تخبريها ، وحين تعضّ لودميلا الصنارة يكون الأوان قد فات . لذلك لا تدسي أنفك ، لا فائدة لك من دس أنفك . أنت تحصلين على ربحك هنا بانتظام ، أما أنا فقد أطرد غداً . واذ ذاك ستتزعزع أمورك أيضاً .

آنا : وما شأني أنا ؟ ولكن رؤيتك انت بين اسيادي تبدو لي شيئاً مؤذياً .

لودميلا (تعود أدراجها الى الغرفة) : تستطيع أن تذهب ، يا بياتيوركين . فليس لك عمل هنا .

بياتيوركين : أتمنى لك السعادة اليوم وحتى آخر أيام حياتك .

لودميلا : هو خدوم جداً .

آنا : اجل .

لودميلا : والطريقة التي يرقص بها ! مدهش !

آنا : ومع هذا ينبغي أن تأخذي حذرك منه ، يا لودا .

لودميلا : أي أذية يمكن أن يلحقها بي ؟

آنا : يمكن أن يمنحك طفلاً .

لودميلا : أف ، يا لها من قذارة !

آنا : الطفل ؟

لودميلا : هذا الذي تقولينه أنت ! (تخرج)

آنا (في اثرها) : كنت أتكلم عن طفل بالذات !

فاسا (بحركة واسعة من ذراعها تشير الى آنا وبولينا بالخروج من الغرفة . راشيل لم تبلغ الثلاثين من العمر بعد . ترتدي ثياباً أنيقة بسيطة . جمالها فاتن .) أدخلي ، يا راشيل ، واجلسي واروي لي كيف وصلت الى هنا ، ومن أين كان مجيئك ؟

راشيل : جئت من الخارج .

فاسا : أجل لا شك في هذا . بصورة شرعية ؟

راشيل : كلا . جئت مع موسيقية ، بصفتي مرافقة لها .

فاسا : واستخدمت جواز سفر مزوراً اذن ؟ أنت امرأة

شجاعة . شاطرة ، وأنت أكثر جمالاً من قبل . مخلوق جميل مثلك و . . . . حسناً ، لنترك هذا ! كيف هو فيودور ؟ قولي لي الحقيقة .

راشيل : اخفاء الحقيقة ليس في ديدني . لا أمل له يا فاستا بوريسوفنا . انه يذوي . ويقول الأطباء انه لن يعيش أكثر من شهرين أو ثلاثة .

فاستا : اذن ، هذه هي نهاية ابن القبطان جيليزنوف .

راشيل : أجل . لقد نحل جسده وشفّ تقريباً . وهو يعرف أنه يموت . ولكنه لا يبرح مرحاً حاد الذهن مثله أبداً . وأين كوليا ولدي ؟

فاستا : وهكذا انتهى فيودور جيليزنوف . انتهى وريثي . وصاحب كل املاكي .

راشيل : هل كوليا نائم ؟

فاستا : كوليا ؟ لست أدري . أظن ذلك .

راشيل : هل يمكن أن ألقي عليه نظرة ؟

فاستا : كلا .

راشيل : لماذا ؟

فاستا : هو ليس هنا .

راشيل : كيف هذا ! انت . . . ما معنى هذا ؟

فاستا : ليس هنالك ما يُخيف . فكوليا يعيش في الريف ، في غابة من شجر الصنوبر . الأرض هناك رملية . والمناخ صحي أيضاً . لا يفيده في شيء أن يعيش في المدينة . فلوزتاه ملتهبتان . لقد أورثه والداه صحة سيئة .

راشيل : هل المكان بعيد ؟
فاسّا : حوالي ستين فرسخاً .
راشيل : وكيف أصل الى هناك ؟
فاسّا : لا ضرورة لذلك . حسناً ، يا راشيل ، فلنتحدث الآن صراحة .
راشيل : هل مات ؟
فاسّا : لو مات لما كان هنالك ما نتحدث عنه – فكلمة واحدة تكفي . كلا ، هو حي وصحته جيدة . وهو ولد لطيف وذكي . فيم تريدينه ؟
راشيل : قررت أن أرسله الى الخارج . شقيقتي هناك متزوجة من بروفسور في الكيمياء . وليس لديهما أولاد .
فاسّا : هذا ما خطر لي تماماً – من المؤكد أن راشيل ستقتاد الطفل الى وسطها . كلا ، لن أعطيك كوليا !
راشيل : ماذا تقولين ؟ أنا أمه !
فاسّا : وأنا جدته ! مؤسسة العائلة . أولادي هم يدايّ ، وأحفادي هم أصابعي . أتفهمين ؟
راشيل : لحظة . . . لا أفهمك . هل أنت جادة ؟ هذا كلام امرأة جاهلة متخلفة .ولكنك امرأة ذكية ، ولا يمكن أن يخطر هذا في ذهنك .
فاسّا : كيلا نقول كلاماً فارغاً اصمتي واصغي . لن أعطيك كوليا .
راشيل : لكن هذا مستحيل !
فاسّا : لن أعطيه لك . فكري : ماذا يمكن أن تفعلي ضدي ؟

لا شيء ! بقدر ما يتعلق الأمر بالقانون فأنت لا وجود لك على الاطلاق . أنت خارجة على القانون ، أنت ثورية هاربة . وحالما تظهرين نفسك يلقونك في السجن .

راشيل : هل تزمعين حقاً أن تستفيدي من الوضع الذي أنا فيه ؟ لا أصدق هذا ! لن تفعلي هذا لسوف تعطينني ولدي .

فاسّا : أنت تهرفين . كلامك فارغ . لسوف أفعل ما عقدت عزمي عليه .

راشيل : لا !

فاسّا : لا تصرخي ! تمالكي نفسك . لن أعطيك كوليا . ان مصيراً مختلفاً ينتظره .

راشيل : ماذا أنت – هل أنت وحش ؟

فاسّا : أقول لك لا تصرخي ! فما فائدة الصراخ ؟ أنا لست وحشاً . الوحش يغذي صغاره ويتركها من بعد تتدبر أمر غذائها . لا يهمه ما ستأكل ، سواء أكان ذلك فراخاً أم عجولاً . طبعاً أنا أتحدث عن الحيوانات المفترسة وليس عن الأرانب الجبانة . أما أنت فلن تتركي ولدك يدبر أمر نفسه . ولا أنا أترك أمر حفيدي . ان حفيدي سيرث شركة ملاحة جيليزنوف وخرابوف . وهو الوارث الوحيد لأملاك تساوي الملايين . وعمتاه ، ناتاليا ولودميلا ستنالان حصة صغيرة قدرها خمسون ألف روبل تقريباً لكل منهما – وهو مبلغ كبير بالنسبة اليهما على أية حال . أما ما تبقى فسيكون له .

راشيل : أنت مخطئة اذا ظننت أن في مقدورك رشوتي أو مواساتي بهذا الأسلوب . أنت مخطئة تماماً . هذا مستحيل !

فاسا : فيم أرشوك أو أواسيك ؟ أنت تعرفين ، يا راشيل ، أني لا أعتبرك عدوة لي ، حتى حين رأيتك تأخذين أبني مني . فماذا كانت فائدته بالنسبة لي ، هو المريض العاجز ؟ لم أكن لطيفة معه ، ورأيت أنك تحبينه . اذ ذاك قلت لك — هيا ، أحبيه ، فلست أبالي ! الرجل المريض يملك الحق في قليل من السرور في الحياة . بل كنت ممتنة لك بخصوص فيودور .

راشيل (منفجرة غضباً) : هذه أكاذيب كلها ! أكاذيب تثير القرف ! لا أستطيع أن أصدق . . . هذه وحشية !

فاسا : انت لا تصدقين ولكنك تشتمين . ومع هذا فلن أبالي . تابعي شتائمك . أنت تشتمين لأنك لا تفهمين . فكري ! ماذا يمكن ان تقدمي لولدك ؟ أنا أعرفك ، أنت عنيدة . ولن تعدلي عن حلمك وعملك . أنت تريدين اشعال ثورة من جديد . وأنا اريد أن أعزز أعمالي . لسوف تسجنين وتتعرضين للنفي . وسيعيش الطفل مع الغرباء ، في أرض غريبة — يتيم . أفهميني ، يا راشيل . لن أعطيك ولدك ! أبداً !

راشيل (في مزيد من الهدوء وبازدراء) : أجل ، أنت قادرة على ذلك ، وأنا أعرف هذا . بل يمكنك أن تسلميني الى الشرطة .

فاستا : أجل ، قد أصـــل الى هذه الحدود ! الى أي شيء ! اللعبة هي لعبة !

راشيل : كيف يمكن أن أحسّ ذهنك المتوحش ؟ قلبـــك الهمجي ؟

فاستا : ما زلت تتحدثين عن الوحوش ! لو سألتيني رأيي سأقول لك ان الناس أسوأ من الوحوش ! أجـــل ، أسوأ ! أنا أعرف هذا ! هنالك بعض الناس يجعلونك تتمنين أن تهاجميهم في شراسة – فتدمرين بيوتهم ، وتحرقين كـــل شيء ، تتركينهـــم عراة ، جائعين ، وتجمدينهم مثل الصراصير . . . هكذا !

راشيل : عليك اللعنة ، لكن ثمة شيئاً له قيمته في حقدك هذا .

فاستا : أنت امرأة ذكية ، يا راشيـــل . قد أسفت غير مرة لأنك لم تكوني ابنتي . وأظنني قلت لك ذلك مرة ! فأنا على الدوام أقول ما يخطر في ذهني من أمور .

راشيل (تنظر في ساعتها) : أيمكنني قضاء هذه الليلة هنا ؟

فاستا : وكيف لا ؟ ابقيْ ! لن أسلمك الى الشرطة . وستسر الفتاتان برؤياك – تسران حقاً . فهما تحبانك . لكنني لن أعطيك كوليا ! اعرفي هذا !

راشيل : سنرى اذن !

فاستا : هل ستحاولين سرقته ؟ هراء . . .

راشيل : لا ، لن اتحدث عن هذا بعـــد الآن . فأنا مهدودة القوى ، وأعصابي على شفا الانهيار ، وفوق كل شيء صعقتني أنت بهذه الصدمة . يا لك من مخلوق رهيب !

الاصغاء اليك يجعلني أفكّر أن هنالك نمطاً مجرماً في الحقيقة .

فاسّا : كل شيء موجود ! لن يستطيع المرء اختراع شيء أسوأ مما هو موجود .

راشيل : أنت والناس من طبقتك – أنتم السادة – لم يبق أمامكم وقت طويل . ثمة سيد جديد ، قوة جديدة هائلة ، تنمو الى الوجود . ولسوف تسحقكم . تسحقكم تماماً !

فاسّا : لكم هذا رهيب ! آه ، يا راشيل ، لو كنت صدقت هذا لقلت لك : خذي ثروتي كلها ودهائي كله ، فكل شيء ملك لك !

راشيل : أنت الآن تكذبين ليس غير !

فاسّا : لكنني لا أصدقك يا نبية . لا أستطيع أن اصدقك . والأمور لن تجري كما تشتهين ، لن تجري !

راشيل : أأنت آسفة على انها لن تجري ؟ آسفة حقاً ؟

فاسّا : لنفرضنّ هذا ؟ فما جدواه ؟ آه ، أنت لا تفهمين . . . يوم قامر زوجي العزيز بجميع سفننا ، ومرافئنا ، وبيوتنا وأملاكنا كلها على مائدة اللعب – فأنت لن تصدقي هذا – ولكنني فرحت الفرحة كلها ! اجل ، فرحت ، أتصدقين ام لا ؟ ثم سحب آخر خاتم في اصبعه ، وراهن به واستردّ كل شيء ، بل أكثر مما خسر . . . وبعد هذا ، وأنت تعرفين ، شرع يدمن الخمرة والفسق ، وهذه أنا طوال خمسة عشر عاماً أحمل

هذا العبء كله ، عملنا الكبير كله في سبيل الأولاد . آه لو تعلمين الطاقات التي بذلت' ! وهذه أنا الآن أضع آمالي كلها في أولادي . وحفيدي هو التبرير الوحيـــد لجميع الأشياء التي عشت من أجلها .

راشيل : أيمكن أن تتصوري كم يغبطني أن أسمع أن ولدي هو تبرير لصفقاتك المشبوهة وضحية اعمال دنيئة .

فاستا : لم ترقك الفكرة ، أليس كذلك ؟ لا تبالي ، فقد سمعت منك شيئاً أو شيئين لم أستسغهما بدوري . فلنشرب الشاي . لسوف نحافظ على الظاهر أمام الفتاتين . هلاّ فعلنا ذلك ؟

راشيل : لا ضرورة لاخبارهمـــا أنـــي وصلت بصورة غير مشروعة . ولا موجب لأن تعرفا شيئاً عن خصامنـــا أيضاً . فليس الأمر في يدهما .

فاستا : واضح انه لا ضرورة لذلك .

(تظهر بوليا عند الباب)

فاستا : اذهبي ونادى الفتاتين . أخبريهمـــا أنا لا أرغب في وجود الطالب العسكرى . قولي ذلـــك في هدوء كيلا يسمعك . واحضري لنا سماوراً . هيـــا . وعلى هذا الغرار كان لقاؤنا ، يا راشيل !

راشيل : لقاء غير مستحب .

فاستا : ليس باليد حيلة . وحدهـــم الأطفال يحيون حياة سارة — وليس لوقت طويل على أى حال .

راشيل : وهذا كله يبدو لي بعيداً عن التصديق .

فاسّا (ترفس مقعدا في هياج) : وما الذي لا يصدّق فيه ؟

لودميلا (تدخل راكضة ووراءها تخطو ناتاليا) : أوه ، من هنا ؟ ماذا ؟ يا راشيل . . . راشيل !

ناتاليا : لم ترسلي برقية — لماذا لم تفعلي ذلك ؟

فاسّا : ناتا مغرمة بطرح الأسئلة . قولي لها مرحبا فتسألك لماذا .

راشيل : أنت لم تتبدلي ، يا لودا . جذابة مثلك أبداً . بل يبدو أنك لم تكبري خلال هاتين السنتين .

لودميلا : وهل هذا شيء سيىء ؟

راشيل : بالتأكيد لا ! ولكن ناتا . . .

ناتاليا : قد هرمت .

راشيل : لعلّ كلمة «نمت» ليست الكلمة المناسبة بالنسبة الى فتاة ، لكن ذلك هو بالضبط الانطباع الذي تعطينه .

ناتاليا : الناس يقولون عادة «نضجت» .

راشيل : ليس هذا هو الشيء ذاته !

(الشقيقتان مغتبطتان لرؤية راشيل ، ولكنها تتحدث في وهن ، وعيناها عالقتان بفاسّا معظم الوقت تقريباً . تشدها الابنتان الى الكنبة . فاسّا هادئة . تجلس الى المنضدة تهيىء الشاي)

لودميلا : اجلسي ، وانفضي الينا الأخبار كاملة .

ناتاليا : كيف حال فيودور ؟ هل هو أحسن ؟
راشيل : كلا ، صحته سيئة جداً .
ناتاليا : اذن لماذا سافرت وتركته وحيداً ؟
راشيل : جئت آخذ ولدي كوليا .
فاسّا : وأنا لن أسمح بأن يغادر الحدود .
لودميلا : يا راشا العزيزة ، ما أروعه من صبي الآن ! انه ذكي وشجاع . . . يعيش في الغابات في خوموتوفو . وهو مكان رائع . وهنالك غابة كبيرة من الصنوبر .
ناتاليا : هل نقلوه من بوغودوخوفو ؟
لودميلا : وبوغودوخوفو مكان رائع أيضاً ! هنالك غيضة كاملة من أشجار الزيزفون وخلايا النحل . . .
راشيل : اذن ، أنتما لا تعرفان حتى مكانه ؟
فاسّا : الى المائدة ، ارجوكم .
راشيل : أخبريني كيف تسير أمورك ؟
لودميلا : كل شيء رائع بالنسبة اليّ . أنت ترين ، انه الربيع وأنا وفاسّا بدأنا العمل في الحديقة . تأتي وتوقظني في بكور الصباح ، قائلة : «هيا انهضي !» ونتناول قليلاً من الشاي ، وننطلق الى الحديقة . أوه ، يا راشا ، يا لها من حديقة غناء الآن !

(تدخل آنّا ، تومئ برأسها تحية لراشيل . تهمس لفاسّا شيأ ما وتخرجان معا)

لودميلا : ننطلق الى الحديقة حين تكون غارقة كلها بالندى

تتلألأ تحت أشعة الشمس ، وكأنهـــا ثياب الكهنـــة الموشاة ، كأنها من البروكار . انها تحبس أنفاسك ، أنها تسحر القلب ! في العام قبل الماضي طلبنا بذاراً للزهور بما يعادل مائة روبل تقريباً . وليس في المدينة كلها من يملك زهوراً فاتنــة مثــل زهورنـــا . ولدي بعض الكتب عن البستنة ، وأنا أدرس الألمانيـــة . وهكذا نتابع عملنا في صمت مثـــل الراهبات مثـــل الخرسان . ونحن لا ننطق بحرف ، ولكننا نعرف ما يجول في ذهن كل منا . أنا انشد أغنية عادة . واذا توقفت تهيب بي فاسّا أن أستمر . وأرى وجههـــا في مكان بعيد ، وجهها اللطيف الحنون .

راشيل : تعيشين حياة سعيدة اذن ؟

لودميلا : أجل ! سعيدة حتى الشعور بالخجل . انها رائعـــة مدهشة !

راشيل : وأنت ، يا ناتا ؟

ناتاليا : أنا في حال مستمرة من الدهشة .

بروخور (سكران يحمل قيثارة) : ها ! انها راشيل ! (يغني .) «من أين جئت ، أيها الطفلة الفاتنة ؟» * آه كم ازداد جمالك !

راشيل : وأنت على ما عرفتك .

بروخور : لا أفضل ولا أسوأ . أنا كما كنت من قبل .

راشيل : هل أنت مستمر في اللهو ؟

---

* سطر أخير من قصيدة بوشكين «بنت الماء» . **الناشر** .

بروخور : بالضبط . هذه مهنتي . موهبتي الرئيسيـــة هي المرح البسيط . ذلك جزء من طبيعتي . لقد مات القبطان جيليزنوف ، وهكذا فأنا أرعى شرف العائلة والشركة بأن ألهو الآن لهوا مضاعفا .

راشيل : هل كان شديد المرض في ذلك الحين ؟

بروخور : أجل ، كثيرا — فقد مات .

(تضحك لودميلا)

راشيل : لقد قصدت هل طال مرضه كثيرا ؟

بروخور : القبطان ؟ لم يمرض على الاطـــلاق . مات فجأة . بف ! و«فليرقد بسلام مع القديسين» .

ناتاليا : هذا يكفي ، يا خالاه ! انه شيء مشين !

بروخور : مشين أن يرقد مع القديسين ؟ لا تحاولي تعليمي ، يا صغيرتي ! فأنت أصغر من أن تفعلي ذلك ! ومن أين انبثقت ، مدمّرة الحياة ؟ مـــن سويسرة ؟ هـــل فيودور حي يرزق بعد ؟

راشيل : أجل .

بروخور : وصحته سيئة جداً ؟

راشيل : جداً .

بروخور : ليست أسرة جيليزنوف سلالة قوية . نحن ، آل خرابوف ، نملك قوة اكثر ! ولكن ولدك ، كوليا ، ولد لطيف ، ذلك الشيطان الصغير ! يلتقط الأمور بسرعة . ذات يوم كنت وجيليزنوف قد تخاصمنا قليلاً عـــلى

الغداء . في اليوم التالي سلّمت على كوليا ، فانفجر في وجهي : «انصرف من هنا ، أيها العربيد السكير !» . بلى ، لقد فعل ذلك ! كان الوقت باكراً ، وكنت لا أزال صاحياً . . . وماذا تصنعون هنا ؟ تشربون الشاي ؟ الحوذيون وحدهم يشربون الشاي . أما الناس المحترمون فيطفئون ظمأهم بالخمرة . . . سأحضرها حالاً . بورتو فاخرة ! أفخر من أي صنف تذوقه الاسبانيون يوماً . وناتاليا تعرف هذا . . . (تدخل فاسّا وهو في طريقه الى الباب)

فاسّا : ماذا حدث هنالك في النادي ؟

بروخور : في النادي ؟ كيف عرفت ذلك ؟

فاسّا : اتصلوا بي هاتفياً .

بروخور : في النادي جرى شجار صغير في موضوع السياسة . لا شيء أكثر من ذلك .

فاسّا : وسيظهر اسمك في الصحف مرة أخرى ؟

بروخور : لماذا اسمي ؟ لقد ضربته مرة واحدة . جعل ينبح على «الدوما» فأنزلتها صفعة على فكه .

فاسّا : أصغ اليّ ، يا بروخور . . .

بروخور : سأرجع حالاً . وعندها أصغي اليك . . . (يغني .) «لا تغويني دون سبب . . .»

لودميلا : ألا يبعث على الضحك ؟ لقد بدأ يكثر من الشراب مؤخراً . وهو يعلّم ناتاليا على الشراب . . .

ناتاليا : لقد علمني وانتهى .

راشيل : أتعنين ذلك حقاً ، يا ناتا ؟

ناتاليا : أجل . فأنا أعشق الخمرة عشقاً . وأهوى الاحساس بأنني سكرى .

فاسّا : يمكنك أن تضيفي الى هذا انه ليس هنالك من يعاقبك على ذلك .

ناتاليا : وليس هنالك من يعاقبني على ذلك .

فاسّا : ناتاليا ! حذار !

ناتاليا : أمرتني أن أضيف ذلك ، فأضفته .

فاسّا : تظنين نفسك مجدودة لأنه ليس لدي الوقت لطرد هذا الشيطان منك !

لودميلا : ناتا دائما وقحة مع أمنا ، كما ترين ، يا راشا . وفي رأيي أن هذا شيء سيء .

فاسّا : عندك نية ان تعيشي عيشاً سامياً . تدعين أنك مثقفة ، وتتصرفين كالخنازير !

ناتاليا : الخنازير الأصيلة غالية الثمن كثيراً !

فاسّا (غاضبة) : هذه هي الحياة التي نعيشها هنا ، يا راشيل .

راشيل : هي حياة متعفنة ، ولكنكم لا تستأهلون شيئاً أفضل . انما الحياة الخالية من المعنى تماماً .

فاسّا : هذا ما أستحقه ؟ هراء !

راشيل : أنا لا أقصدك شخصياً ، بل أتحدث عن طبقتك الاجتماعية .

فاسّا : هذه هي تنطلق الآن !

راشيل : والأمور لا تقل عن ذلك سوءاً في الخارج أيضا . بل لعلها أسوأ ، فهم أكثر هدوءاً بشأنها ويعذبون

بعضهم بعضاً أقل مما تفعلون أنتم .

ناتاليا : أهذا صحيح ؟ أم أنك بهذا تواسيننا ؟

راشيل : انه صحيح ، يا ناتاليا . أنا لست ممن يؤاسون الناس . ان عالم الأثرياء ينهار ، رغم أنهم هناك أكثر تنظيماً . كل شيء ينهار ، بدءاً من العائلة ، ولقد كانت العائلة هنالك قفصاً حديدياً . أما هنا فالقفص من خشب .

فاسا : راشيل !

راشيل : نعم ؟

فاسا : أقيمي هنا معنا . سيموت فيودور ، هذا ما قلته بنفسك . كفّي عن التطواف والتجوال وعن الاختباء ! تعالي وعيشي معنا . وتستطيعين تربية ولدك . وههنا ابنتاي أيضاً . هما تحبانك . أنت تحبين ولدك .

راشيل : ثمة شيء أكثر قيمة بكثير من روابطنا وعلاقاتنا الشخصية .

فاسا : أعرف . فثمة العمل . مشاكل الشركة . لكن يحدث احياناً ان يقع شيء ما في متناول يدك ، شيء يجدر أن تقتنيه ، ولكنك لا تشعرين برغبة في ذلك .

راشيل : أنت لا تتحدثين عن نفسك .

فاسا : ماذا تقصدين ؟

راشيل : قد تشعرين أحياناً أنك تعبت من تسوية مشاكلك ، أما أن تشعري بعدم جدواها ، بفظاظتها ، كلا ، أنت لا تستطيعين هذا . أنا أعرفك . رغم كل شيء أنت

عبدة . أنت ذكية وقوية ، ولكنــك عبدة مع ذلك . فالاشياء تتلفها الدودة والصدأ والعفونة ، وانتم تتلفكم الاشياء .

فاسّا : يا للذكاء ! لكن هذا غير صحيح كما أظن ! سأخبرك بما كنت اريد ، سأخبرك بذلك أمام ابنتيّ . كنت أريد أن يحمل حاكم هذه المقاطعة المبولة لي ، كنت أريد أن يقيم الكهنة المحليون احتفالاتهم الدينية على اسمي أنا وليس على أسماء القديسين ، بل على اسم روحي الشريرة السوداء الخاطئة .

راشيل : هذا مأخـوذ مـن دوستويفسكـي ولا يلائمـــك أنت . . .

ناتاليا : أمي لا تعرف شيئاً عن دوستويفسكي . فهي لا تقرأ الكتب .

فاسّا : من دوستويفسكي – من تراه يكون ؟ كلا ، بل من الاذلال الذي عانيت . من الاذلال الذي لا أستحقه . . . الفتاتان تعرفانه ، فقد أخبرتهما اليوم كيف كنت . . .

بروخور (حاملاً زجاجتين من الخمور) : ها هو البورتـو ! هيا بنا الآن ، ولنأخذنّ الأمور بصورة جادة . هل أسكب لك يا فاسّا ؟ لن تندمي . انهـا بضاعـة نادرة ، وهي . . .

فاسّا : حسنا ، هيا ! تعالين الى المنضدة ، يا فتيات . على اي حال ، لم لا نشرب ؟ كنّتي قد . . . جاءت لزيارتي ! أسكب ، يا بروخور . من ضربت ؟

بروخور : ميلنيكوف ، مستأجرك . ضربته على فكه . وضربت

شخصاً آخر أيضاً . . . ذلك هراء في هراء حقاً ! لسوف يشفى !

فاسًا : أتعلم أن ميلنيكوف سجل نفسه في «اتحاد الشعب الروسي» ؟

بروخور : واذن ؟ لكأن لذلك أية أهمية ! وأنا سجلت اسمي في دليل الهاتف ، ولكنني لا أتبجّح بهذا . الأقداح !

(الهاتف يرن)

فاسًا : هذا لي . (على الهاتف .) من ؟ أجل ، أنا هي . اية سفينة ؟ لماذا ؟ يا للحمقى ! من شحنها ؟ في أوفا ؟ تيرينتييف ؟ افصل هذا الأبله فوراً ! مطلوب حضوري – لماذا ؟ حجزوا السفينة كلها ؟ وماذا أيضاً ؟ ما عدا الجلود . . . اللعنة عليهم ! تقول ان لجنة الصحة هناك ؟ ومفتش أيضاً ؟ سأحضر على الفور . (تلقي السماع بقوة .) حسنا ، ابقوا أنتم هنا ولا تحدثوا شغباً . هنالك فضيحة كبرى نزلت فوق رأسي . لقد حجزوا أحد قوارب الشحن لدي . لقد سمح وكيلي الأبله بأن تشحن جلود الحيوانات قبل التفتيش الصحي ، وقبل ترقيمها . كما كانت السفينة تحمل جلود خراف ، وألياف أشجار ، ولحاء . سأذهب الى هناك حالاً . (تخرج ، وتلحظ نظرة راشيل أثناء خروجها .)

بروخور : ذهبت ترشو شرطة النهر . فشرطة النهر هنا

أفرادها من المحتالين اللصوص . وشرطـــة البر لا يختلفون عنهـــم في شيء . لكن ليذهب كل هذا الى الجهنم ! فأنا أصب الخمرة . ناتاليا ، يا حبيبتي ، هذه تكون أفضل من خمرتك المفضلـــة . (يغني مقلداً الانشودة الدينية .)

صبّ لي ، يا صاحبي ، في الكأس خمرة
صبّ لا تترك ، فذاك العمر قطرة

ستار

برحت فاسّا الحجرة لتوّها . بروخور يدخن سيجاراً . لودميلا تلتهم بنشوة أصابع من البسكوت تغمسها في صحفة من المربى . ناتاليا تجلس الى جانب راشيل والكأس في يدها . راشيل مستغرقة في التفكير .

بروخور : هذا هو نمط الحياة التي نعيشها ، يا راشيل — لا نعرف هدوءاً أو سلاماً . لقد اساءت الشرطة الينا . (يقهقه ضاحكا)

راشيل : هل أنت الآن رئيس مجلس البلدية ؟

بروخور : حصلت على هذا المنصب في أحلامي ، ومن بعد سألت نفسي — لماذا ، وحق الشيطان ، اقيّد نفسي على هذا المنوال ؟ يحسننّ بي أن أعيش كما انا عليه حراً مثل العصفور .

ناتاليا : ليس هذا صحيحاً ! أنت لست حراً . وأنت هربت من الانتخابات بسبب من جبنك .

بروخور : رهيب هو هذا الأسلوب الذي تحب ناتاليا اغاظتي به . والآخرون جميعاً أيضاً . . . صغيرة بعد ولكنها شيطانة . وتبدو مثل احدى الشيطانات أيضاً . . . اهم ! ولكنها على حق تام — فأنا انسان بعيد النظر . بعيد وفاة القبطان . . .

ناتاليا : بعيد وفاة والدنا راجت الأقاويل أنه سمّ نفسه .

حتى قيل اننا سقيناه السم تجنباً لفضيحة المحاكمة .

لودميلا : يا للهراء السخيف !

بروخور (في قلق) : لا ريب أنه هراء ! وقد أوقف النائب العام هذه القضية المقرفة على أية حال . . .

ناتاليا : لعدم اثبات التهمة . وخاف خالي من تلك الأقاويل وخطر له أنه لن يتم انتخابه رئيساً .

بروخور : هذا يكفي ، يا ناتا !

ناتاليا : في حين كان يجب أن يفعل ذلك رغم الأقاويل ، ورغم الجميع .

بروخور : انها على هذا المنوال دائما – رغم كل شيء !

راشيل (تمسح على يد ناتاليا) : وهكذا يجب أن تكون !

ناتاليا : اذا لم تثبت التهمة ، يا راشيل ، فهذا لا يعني بالضرورة أن المتهم لم يكن مذنباً ، أليس كذلك ؟

راشيل : كلا .

لودميلا : وهل هكذا يجب أن نعيش ، يا راشيل – رغم جميع الناس ؟ أفليس في مستطاع المرء أن يعيش . . .

ناتاليا : أحمق مثل لودميلا جيليزنوفا .

لودميلا : عبثاً تشتمين ، فلن أغتاظ ! أوه ، يا راشيل ، اني أكره كل هذا – الحقد . . . وما شابه .

ناتاليا : وهي تحب الأصابع المغموسة بالمربى !

لودميلا : هل يثير هذا غيرتك ؟ أنت حاقدة على الدوام لأنك لا تملكين شهية . اذا أكلت أكثر لن تكوني على هذا القدر من النقمة !

بروخور (مغنياً) : «أنا لا أغضب رغم الضيــق الذي يمزق قلبي» . اضافة الى الأصابع المغموسة بالمربى وجميع أصناف الحلويات ، فان لودميلا تعبد كل ما يمت الى العسكرية بصلة ، وخاصة ما كان له ريش على غرار الهنود .

لودميلا : هذا غير صحيح أبداً .

بروخور : الى الجحيم كل هذه السخافات العائلية ، والماضي وكل شيء آخر . ولنحتفل قليلاً طالما أن صاحبـــة البيت غائبة . سأريك راقصاً ، يا راشيل – راقصاً يجعلك تدهشين حد الذهول ! لودا ، نادى بياتيوركين !

لودميلا : هذه فكرة صائبة !

بروخور : وقولي له أن يحضر القيثارة ! (الى راشيــل) متى ستزورين ولدك ؟

راشيل : أهو في مكان بعيد ؟

بروخور : على مسافة ثلاثة وعشرين فرسخاً – وربما خمسة وعشرين . انه ولد لطيف . ليست صحته قويـــة ، ولكنه رائع !

راشيل : الجدة لا تريدني أن آخذه .

بروخور : انها على حق في هذا ! لا حاجة بك الى الولد وأنت تعيشين حياة الهروب هذه .

راشيل : ما رأيك ، يا ناتا ؟

ناتاليا : عليك ان تصري على أخذه . واذا لم تذعن لـــك فاسرقيه !

بروخور : أوهو !

ناتاليا : أجل ، اخطفيه واهربي به وخبئيه . انت ترين حالنا جميعاً ههنا ! ترين ذلك . . .

راشيل : أخطفه . . . أهرب به . لا أستطيع اتيان مثل هذا العمل .

ناتاليا : لماذا ؟

راشيل : ان لديّ أموراً أخرى أكثر اهمية .

ناتاليا : أكثر أهمية من ابنك ؟ حقاً ؟ لماذا أنجبته اذن ؟ لماذا ؟

راشيل : تلك كانت غلطتي !

ناتاليا : وما هي هذه الأمور ؟ ما سبق أن حدثتني عنها قبل سنتين ؟ أذكر . اذكرها جيدا .

راشيل : ولكنك لا تؤمنين بها ؟

ناتاليا : كلا .

راشيل : ذلك أنك لا تفهمين . أما أنا . . . أنا لا أستطيع أن أعيش دون القضية . وحتى لو فقدت . . . ولو لم أر كوليا مرة أخرى . . .

بروخور : رويدك ! انها فكرة هامة أن تخطفيه ! هي فكرة رائعة ، يا راشيل ! ستكون طعنة نجلاء في صدر أختي ! نفذيها ، يا راشيل ! وناتاليا وأنا نساعدك ، فاعتمدي علينا . وأنا عندي بياتيوركين – قادر أن يفعل أى شيء !

راشيل : كفى !

بروخور : ليوشكا بياتيوركين ؟ انه يستطيـــع أن يخطف مطراناً ، فكم بالحري صبياً صغيراً !

راشيل : تريدون أن تلهوا بولدي . . .

بروخور : هذا هو ، بياتيوركين ، جندي شجاع — خدم في قوافل التموين ! اليوشكا ، فلنقدم مقطوعة «عصفور الله الصغير» ! واذكر أنها مؤلفة للخارج ، لأوروبا ! ولهذا يجب الا تشوبها شائبة !

(يأخذ بروخور القيثارة من بياتيوركين ويدوزن أوتارهـــا . تحضر لودميلا طبلة وبلالايكا . تعطي الطبلة الى شقيقتها .)

بروخور : والآن ، أيتها الفتيات ، في هدوء وأسى ! وخاصة الطبلة ! ينبغي أن تهمهم لا تقرقع .

لودميلا : نعرف هذا .

بروخور : هيا بنا اذن . (يغني ، كالعادة ، كأنـه يبتهـــل بانشودة دينية . لودميلا وبياتيوركين يرافقانه .)

طير صغير هو طير اللّه
لا يعرف الهمّ او الغمّا
حلو ، فما تسمع منه الاهْ
الا حنانا دافقاً جمّا

وأنتَ في العتمة غفيانُ
والشمسُ توقظكَ في الفجر
وصوتك الفرحانُ نشوانُ
للحنه أعطي أنا عمري

سيدتي ، سيدتي الحلوهْ
سيدتي . . متينة الأعصابْ

سيدتي أغنية حلوه
الى متى نبقى ، ترى ، بالباب !

ليوشكا ! هيا ! ارقص ! بوحشية ! واووو !

بدرب «روستوف» رأيناها
سيدةٌ كالضوء شهرتها
وغيرها «اوريل» سكناها
مجهولة كالسرّ سُمعتها
سيدتي ، سيدتي الحلوه

(يؤدي بياتيوركين الرقصة الروسية بصورة مسلية رائعة . لودميلا تغني وقد جرفتها الحماسة . بروخور جذلان طرباً . ناتاليا تضرب على الطبلة بصورة آلية وترنو الى راشيـــل . راشيل جالسة وكأنها تتجمد .)

سيدتي الآن ، ولا تسألْ ،
قد ذهبت تمرح في «باريس»
والاحمر الرأس ، ولا تعجلْ ،
واعدها كأنه ابليس
سيدتي ، سيدتي الحلوه . . .

ناتاليا : كفى !
بروخور : لماذا ؟
ناتاليا : لا أريد المزيد .

لودميلا : تفو ، ما أصعب ارضاءك !

(تنهض راشيل وتخطو مبتعدة . تلحق بها ناتاليا متباطئة . تتوقف عند النافذة)

ناتاليا : حسناً ؟
راشيل : هذا رهيب .
ناتاليا : أفضل أن أقتل ابني ولا أتركه هنا .
راشيل (تضع ذراعيها حول كتفي ناتاليا) : لا أستطيع الخروج به من البلاد دون مساعدة فاسّا بوريسوفنا .
ناتاليا : سيتدبر خالي الأمر . انه يغتبط لأية فرصة تتيح له ايذاء أمي . اذا اختطف كوليا سنعمل على اخفائه ، ومن بعد نرسله اليك .
راشيل : الى أين ؟ لست أدري أين سأعيش . اذا تدبرت أمري بالعودة الى سويسرا فأبقى هنالـــك بضعـــــة أسابيع . . . يجب أن أقيم في روسيا . وليست لدي امكانية تنشئة كوليا . أما في لوزان ، عند أختى . . . فسيكون ذلك رائعاً . . .
بروخور (يوقف بياتيوركين ويصيح) : ألم يعجبك هذا ؟
راشيل : كلا .
بروخور : ليس لديك أى حسّ فني !
راشيل : وغناؤك لا يطاق .
بروخور : أصبت . عندما يتعلـــق الأمر بالشراب أو لعب الورق فأنا المبرّز الذى لا يجارى ، وأما فيما يتعلق بالغناء فالطبيعة لم تسبغ عليّ موهبته . ان لي قلباً

حنوناً ، وأما حنجرتي فجافة دائماً . ان نبراتها خشنة . بياتيوركين ، اذهب ، أيها الفاشل التافه ! فما أحزننا نجاحاً ! راشيل ، تعالي الى غرفتي . سأريك مجموعة أقفالي .

راشيل : لقد رأيتها .

بروخور : متى كان ذلك ؟ يجب أن تريها الآن ! اني أملك سبعة وثلاثين قفلاً لمخازن المحصولات ، وأربعـــة للقلاع ، واثنين وأربعين قفلاً موسيقيا . ولن تشاهدي مثل هذا في أي مكان . تعالي على أيـــة حال ! فلديّ أشياء هامة أخبرك بها .

(يمسك ذراعها ، فتتبعه على مضض)

ناتاليا (ترنو الى شقيقتها) : ما بالك ؟

لودميلا : لا شيء . أشعر بالنعاس .

ناتاليا : اذهبي ونامي اذن .

لودميلا : لقد سئمت . أريد أن أبكي .

ناتاليا : اذهبي الى فراشك ، وابكي ، ونامي .

لودميلا : الأمور دائمـــاً هكذا . سأنتظر فاستا . لا أرتاح عندما تكون خارج البيت .

ناتاليا : أنت تكثرين من مناداتها فاستا .

لودميلا : ذلك أني أحبها . أما أنت فلا تحبينها .

ناتاليا : لا ، أنا لا أحبها .

لودميلا : وهي تعرف هذا .

ناتاليا : تعرفه طبعاً .

لودميلا : ولكنك تشبهينها ، تشبهينها كثيراً !
ناتاليا : ولهذا لا تحب احدانا الأخرى .
لودميلا : انها مولعة بك .
ناتاليا : انها مولعة بتعذيبي .
لودميلا : وأنت تعذبينها بدورك .
ناتاليا : نعم ، أنا أقابلها بالمثل .
لودميلا : كم انت بلهاء ! وخالي أبلـــه أيضاً - تصوري اقتراحه باختطاف كوليا !
ناتاليا : لا تخبري أمنا بهذا .
لودميلا : سأخبرها حتماً .
ناتاليا : لماذا ؟
لودميلا : كلا ، لن أخبرها . لا أريد أن أضايقها .
ناتاليا (زافرة) : أنت قديسة . . . أنت فلتة . ولم تجبلي من طينتنا .
فاستا (تدخل الى الغرفة) : ما هذا كله - أكنتما تتخاصمان ؟
لودميلا : كلا ، بل نتحدث وحسب .
فاستا : حديثكما جاد جداً . وبروخور دخن السيجار هنا - كم مرة طلبت اليه ألا يدخن السيجار في غرفتي . أظن ان ناتاليا أفرطت في الشراب .
ناتاليا : لا أبرح قادرة أن أقف على قدميّ .
فاستا (تصب لنفسها قدحاً من البورتو) : هل برد الشاي ؟ صبوا لي قليلا .

(ناتاليا تصب لها الشاي)

فاسّا : سبعمائة من الروبلات – لكأنني قذفت بها في النار . الرشوة في كل مكان . هم كلهم مرتشون . ماذا كنتم تفعلون ؟

ناتاليا : شربنا الشاي .

لودميلا : رقص بياتيوركين رقصة . وأصرّ خالي على راشيل أن تخطف كوليا .

فاسّا : يا له من لاه ! وماذا قالت هي ؟

لودميلا : رفضت . أصبحت نكدة الطبع بصورة بغيضة . لم تعد مثلما كانت من قبل . مقيتة جداً ! جميع الأذكياء مقيتون !

فاسّا : هكذا اذن . وماذا أنا في نظرك – غبية ؟

لودميلا : أنت لست ذكية ولست غبية ، أنت مجرد امرأة انسانة .

فاسّا : لا أعرف – ماذا يعني ذلك ؟ أأنا أسوأ من غبية ؟ حسنا ، فليقف الأمر عند هذا الحد – امرأة انسانة . خذي السماور واطلبي أن يسخنوه . ناتاليا ، هل تودين السفر الى الخارج ؟

ناتاليا : أجل ، أود ذلك . وتعرفين هذا .

فاسّا : حسنا ، في مقدورك أن تسافري . خذي آنّا معك .

ناتاليا : لن أسافر مع آنّا .

فاسّا : لماذا ؟

ناتاليا : يكفيني ما لقيت منها هنا .

فاسّا : لن أتركك تسافرين وحدك . آه ! يا فتاة . . .

ناتاليا : نعم .

فاسّا : ليس لدي فسحة من الوقت لأحادثك .
ناتاليا : ألديك فسحة من الوقت لتربية كوليا ؟
فاسّا : لن يتطلب مني كثيراً من الوقت .
ناتاليا : سوف يتطلب أكثر مني .
فاسّا : سافري برفقة آنّا . سوف يكون في وسعك الالتقاء بفيودور .
ناتاليا : هذا لا يغريني .
فاسّا (بأعلى صوتها) : أيتها الشيطانة ! اخرسي !
ناتاليا : حسناً . . . سأخرس .
راشيل (تدخل الى الغرفة) : ماذا جرى ؟
فاسّا : أجل ، أجل ، أعترف بانني صرخت عبثاً . كان ذلك غلطة مني . لقد أثاروني حتى أوجع ذلك قلبي . حسناً ، يا راشيل ؟ لقد اقترح بروخور اذن أن تخطفي كوليا ؟
راشيل : كان سكران لا يعي .
فاسّا : حين يكون صاحياً فهو يمكن أن يقترح هذا أيضاً . . . لم لا تذهبان الى فراشيكما ، يا فتاتيّ ؟ لقد تأخر الوقت . ها ؟
لودميلا : والعشاء ؟
فاسّا : نسيت العشاء . أريد أن أشرب شيئاً . أريد شاياً ساخناً . حسناً . اذهبي واطلبي اليهم تهيئة المائدة للعشاء . ما لديك من أقوال ، يا راشيل ؟
راشيل : أصغي اليّ ، يا فاسّا بوريسوفنا . أعطيني ولدي وسأرسله الى الخارج .

فاسّا : تريدين استئناف الجدال ، أليس كذلك ؟ كلا ، لـن أعطيه لك !

راشيل : لا أستطيع أن أتصور أبداً ماذا ستفعلين به . كيف ستربينه ؟

فاسّا : لا تقلقي سنتدبر الأمر فنحن قوم مستقرون . وميسورون . سنستأجر أفضل المربيات . وأفضـل المعلمين . . . ونقدم له أفضل تعليم .

راشيل : لن تعلميه الأشياء التي يجب أن يعرفها الانسان الشريف . سيكون على كوليا أن يعيش في هذا البيت الحافل بالبلالايكا والقياثر ، بالطعام الدسم ، وبروخور خرابوف نصف السكران ، وبالفتاتين – احداهما مراهقة دائمة ، والأخرى بالغة الحقد . فاسّا بوريسوفنـا ، أعرف جيداً طبقتك الاجتماعية سواء هنا في روسيا أم في الخارج . انها طبقة مريضة بصورة ميئوس منهـا ! أنتم تعيشون مثل البشر الآليين ، تستعبدكم أعمالكم ، وتأمركم قوة الأشياء التي لم تبدعوها بأنفسكم . أنتم تحيون في ملء الازدراء والحقـد المتبادلين دون أن تسألوا أنفسكم لماذا تعيشون ، وأي نفع فيكـم للناس . . .حتى ان خياركم وأكثركم ذكاء لا يعيشون الا لأنهم يشمئزون من الموت ويخافونه .

فاسّا : هل انتهيت من أغنيتك ؟ استريحي الآن وأعيرينـي سمعك . اذا كان هنالك شيء واحد لا أعرفه عنك فهو ما يلي : كيف أن ذهنك هذا الوقاد يصاب بالعمـى والضعف حين تأخذين الحديـث عن الحياة ؟ تقولين :

الطبقة الطبقة . . . يا سيدتي العزيـــزة ، ان غوري كروتكيخ – مدير أعمال شركتي الملاحية – يعرف عن الطبقة أكثر مما تعرفين . وهو يقول ان الثورات تكون شرعية حين تخدم هذه الطبقة السخيفة . وانت لا تنفكين تتحدثين عن نوع غير شرعي من الثورات ، عن شيء خارج عن نطاق هذا العالم . بالنسبة الى كروتكيخ كـل شيء واضح : على الاشتراكيين أن يوحدوا العمال لما فيه مصلحة الصناعة والتجارة . هذا ما يقترحه ، وهو فيه على حق ! انه ليس أحمق – بخصوص هذا الشيء على أية حال . ولكنه لا يزال أحمق بخصوص شؤون العمل .

راشيل : لقبه كروتكيخ أليس كذلك ؟ وفقا لاسمه * ينادي بتدريب البروليتاريين ليكونـوا متواضعين وديعين . وليس هو وحيداً في ذلك . ثمة كثيرون جداً عـــلى شاكلته . وباعتبار أنهم من خدمك المخلصين فانتـــم تسمحون لهم أن يسموا عالياً جداً . . .

فاسّا : اسمعي . أنا فاسّا خرابوفا ، لا أبدي شيئاً مـــن المبالاة بهذه الطبقة ! أنت تقولين انها تلفظ أنفاسها ؟ وهذا شيء لا يثير قلقي . فأنا في صحة جيدة . أنـــا سيدة أعمالي . وليس من يستطيع أن يعرقلنـــي أو يرعبني . ولدي الكثير مما يكفينـــي مدى حياتـــي ، وسأوفر ثروة ضخمة لحفيدي . هذه هي أفكاري ، هذه

* كروتكيخ يعني وديع . **الناشر** .

هي حكمتي ! ولن أعطيك كوليــــا . فلنخلص من هذا الموضوع ! حان أوان العشاء . وأنا مهدودة القوى .

راشيل : لا أريد أي عشاء . فطعامك مكروه لديّ . . . أيــن يمكن أن أستريح ؟

فاسّا : اذهبي . سترافقك ناتاليا . (تنهض عن مقعدها في صعوبة ، وتعاود الجلوس وتنادي) آنّا ! (لا تتلقــى جواباً .) طعامي مكروه لديها . . . من غيرها يجرؤ أن يقول لي مثل هذا الكلام ؟ . . أوه ، يا للأفعى ! (تقرع الجرس)

بوليا : هل قرعت الجرس ؟

فاسّا : كلا ، بل هو الشيطان القابع تحت المدفأة . أيــن آنّا ؟

بوليا : مع الأنستين .

فاسّا : ناديها . (تجلس مرهفة سمعها الى شيء ما ، تتحسس حنجرتها وتتنحنح . تدخل آنّا) ماذا حدث هنا أثنـــاء غيابي ؟

آنّا : اقترح بروخور بوريسوفيتش اختطاف كوليا .

فاسّا : اقترح ذلك بنفسه ؟

آنّا : أجل . قال أولاً : «انها على حق في هذا . فلست في حاجة الى ولدك» . ثم انشرح فجأة ، فقال : «ذلك يكون طعنة في صدر شقيقتي» .

فاسّا : وناتاليا ؟

آنّا : هي التي اقترحت ذلك . . .

فاسّا : أنت تخلطين الأمور ! انت تكذبين !

آنّا : أنا لا أخلط الأمور . هذا ما حدث . حين قالت راشيل موِيسييفنا انك تحتفظين بكوليا هنا ، قال بروخور بوريسوفيتش : «هي على حق» . وحين اقترحت ناتاليا الاختطاف ، تحمّس لذلك أيضاً .

فاسّا : هكذا . انه يتوق لأن يغرز أسنانه في لحمي . ولو كان ذلك في عقبي .

آنّا : وقال : «لدينا بياتيوركين هنا . يمكن أن يخطف مطراناً ، فكم بالحري صبياً صغيراً» .

فاسّا : انه كلب ضار بياتيوركين هذا .

آنّا : مخلوق دنيء ! لا يملك شرفاً أو ضميراً . وهو وقح جداً ، وفظ جداً . . .

فاسّا : لسوف نلطّفه .

آنّا : أمريضة أنت ؟

فاسّا : لماذا ؟

آنّا : ألمح ذلك في وجهك .

فاسّا : بنتاي لم تلحظا شيئاً . حسناً ! سوف تسافرين الى الخارج ، يا آنّا .

آنّا (مذهولة) : أنا ؟

فاسّا : أجل ، أنت . مع ناتاليا ، أو ربما لوحدك .

آنّا : أوه ، ما أشدّ سروري ! لا أعرف كيف أجزل لك شكري !

فاسّا : لا ضرورة لذلك . فأنت تستأهلين هذا . أنت لم تكذبي عليّ قط ، أليس كذلك ؟

آنّا : أبداً .

فاسّا : هذا ما يهمني . سوف تحملين رسالة الى فيودور . لا تتركي ناتاليا تشاهدها . واكتبي اليّ فوراً عن صحة فيودور . إسألي الأطباء . هل تتذكرين اللغة الألمانية ؟

آنّا : أجل ، أتذكرها .

فاسّا : حسناً ! اذا كانت صحة فيودور سيئة جداً ، فابقي الى جانبه حتى ينتهي الأمر . ولكننا سنناقش هذا الأمـر فيما بعد . والآن إسمعي ما أقول . ستذهبين الآن الى الشرطة ، واسألي عن الكولونيل بوبوف . يجـب أن تجديه ! قولي لهم أن يبعثوا خلفه . قولي ان الأمـر مستعجل وفي غاية الخطورة .

آنّا : فاسّا بوريسوفنا . . .

فاسّا : اسمعي ! أخبريه أن راشيل توباز ، النازحة ، جاءت تزورني من الخارج . هو يعرف من تكون . فقد اعتقلها مرة من قبل . واذا كانوا سيعتقلونها الآن فليفعلـوا ذلك في الشارع ، وليس في هذا البيت . مفهوم ؟

آنّا : أجل ، لكن . . . كيف ؟

فاسّا : أصغي اليّ . هلاّ أصغيت ! اذا جاؤوا الى البيـــت فسيتضح أنك وشيت بها . أو فعلت أنا ذلك . ولست أريد أن تنطلق أقاويل جديدة حمقاء في المدينة . هل فهمت الآن ؟

آنّا : أنا . . . أنا لا أستطيع . . .

فاسّا (مشدوهة) : لا تستطيعين ؟ لماذا ؟

آنّا : لن أجرؤ .

فاسّا : تأسفين عليها ، أليس كذلك ؟ ألا تأسفين على كوليا ؟

لسوف يعتقلونها غداً أو بعد غد في كل حال . فلماذا ترفضين أن تؤدي لي هذه الخدمة ؟ هذا غريب جداً ! لا أصدق ذلك !

آنّا : كلا ، ليس الأمر كذلك ، وحق اللّه ! اني أضحـــي بحياتي في سبيلك ! لماذا أشفق على تلك اليهودية ؟ فلطالما ازدرتني ، كما تعلمين .

فاسّا (مرتابة) : ماذا تهمسين ، قولي ؟ لست أفهم !

آنّا : أخشى الذهاب الى رجال الشرطة في الليل .

فاسّا : هذه حماقة ! أتحسبين أنهم يأكلونك ؟ (تنظـــر في ساعتها .) لكن ، لعلك على حق – فالوقت متأخـــر . سيكون بوبوف يلعب الورق الآن في مكان ما . حسناً ، تستطيعين القيام بذلك غداً صباحاً . في البكور – في حوالي السابعة . فاطلبي ان يوقظوه من نومه .

آنّا : أوه ، شكراً لك ، لكم أنا ممتنة لك ! (تمسك يدهـا وتقبلها .)

فاسّا (تمسح يدها بتنورتها) : كيف ، أنت تنضحين عرقاً ، أيتها المخلوقة البلهاء ! انه يقطر من وجهك . . .

(تمسح آنّا وجهها)

فاسّا : راشيل تداب على اخافتي بنعيبها عن الطبقة ! أيـة طبقة ؟ أنا طبقة ! انها تكرهني انا . أجل ، أنا ! لقد سرقت الولد ، مثلما يسرق الغجري حصاناً . والآن لــن أتركها تأخذ حفيدي ! كلا ! (تغرق في برهة مـــن

التفكير .) أشعر بتوعك . ربما تعبت . . . اصنعي لي شراباً حاراً من توت العليق .

لودميلا : تعالي للعشاء ، يافاسّا .

فاسّا : أنت مغرمة بالطعام . . .

لودميلا : نعم ، أنا مغرمة به ! مغرمة به جداً .

فاسّا : لدي مفاجأة سارة لك ، ولكنها ليست مما يؤكل – بل ستجعل حياتك أكثر سعادة .

لودميلا : أنت دائماً . . .

فاسّا : اتخذت قراري . سأشتري منزل الأميرة كوجوشيفا العجوزة – وهذا سيكون اضافة رائعة الى حديقتنا ، أليس كذلك ؟

لودميلا : آه ، يا أماه ، ما أروع ذلك !

فاسّا : هذه هي الامور ! أعتقد أن الأمير الصغير خسر مبالغ طائلة بلعب الورق . . .

لودميلا : ما أروع ذلك ! يا ربي . . .

فاسّا : والأميرة مستعجلة للبيع . سأدفع العربون غداً . هذا عيد لك .

لودميلا : كيف تجدين متسعاً من الوقت لجميع هذه الأمور ؟ تعالي ، لنتناول عشاءنا .

فاسّا : لست أريد طعاماً . فأنا أشعر بالتوعك . سأشرب شيئاً حاراً بتوت العليق وألجأ الى فراشي . تناولوا عشاءكم من دوني !

لودميلا : ألن تشربي قليلاً من الشاي ؟

فاسّا : أجل ، هاتي السماور الى هنا . أشعر بالظمأ . هــل راشيل هناك ؟

لودميلا : أغلقت الباب على نفسها في الغرفة الصفراء . وهـــي لا تريد أن تأكل أيضاً . لقد صارت سمجة متبخترة !

فاسّا : اذهبي ، يا لودا ، اذهبي . . . (تبقى وحيدة . تتمشى في الغرفة في حذر وكأنها تدوس على الجليد ، متمسكة بالمقاعــد ، وهي تنحنح وتهمهم) الاعمال . . . تزداد الاعمال . . . (تحاول أن تجلس ، وتبدل رأيها فتقف وظهرها الى الباب) أيجب أن أستدعي الطبيب ؟

(بياتيوركين ، سكران ، شعره مشعث أكثر من المألوف ، يمدّ لسانه لسيدته ويكشر تكشيرة شنيعـــة ، ويلتقط القيثارة ويطلق منها نغمة جشاء)

فاسّا (جافلة) : أوه . . . ما هذا ؟ من . . . ماذا تريد ؟

بياتيوركين : جئت آخذ القيثارة . . .

فاسّا : انصرف ، أيها الشيطان !

بياتيوركين : سأنصرف . لم لا أنصرف ؟ لست كلبـــاً . ولا أعيش في حجرات الاسياد .

فاسّا : الأحمق . . . يا . . . للشيطـــــان . . . (تجلس متهالكة على الأريكة ، تحاول فك أزرار بلوزتهـــا ، ولكنها تسقط على جنبها . يخيم الصمت لحظات .)

آنّا (حاملة صينية عليها ابريق الشاي وقدح) : هل أحملها الى غرفة النوم ؟ (تقف في انتظار الجواب . تبدأ الصينية

ترتجف في يدها والقدح يقرقع . تضع الصينية على المنضدة بحذر ، وتنحني على فاسّا وتنظر الى وجهها ، ثم تنتصب وتتحدث في همس مرتفع .) يا اللّـه ، يا اللّه . . . فاسّا بوريسوفنا . . . ما لـك ؟ (تصغي برهة ، وتركض الى المكتب وتفتح درجاً . تفتش ، وتعثر على مبلغ من المال تخبئه في صدرها . وتفتح بعد ذلك علبة موضوعة على المنضدة تعثر فيها على نقود تخفيها . وتجد مفاتيح فتضعها في جيبها ، بينما يغلق غطاء العلبة في ضجيج . وتركض آنّا خارجة من الغرفة . صمت . تدخل ناتاليا عجلانة الخطوات يتبعها بروخور . ويأتي بعدهما على التوالي آنا ، وبوليا ، وبياتيوركين .)

ناتاليا (تتحسس وجه أمها بيدها وتتحدث في صوت عال لا يناسب الجو) : ماتت .

بروخور : اوخ . . . مات جيليزنوف فجأة . والآن فاسّـا ! ستدور الأقاويل في المدينة من جديد . تفـو ! هكذا اذن . . . يا للشيطان !

ناتاليا : اصمت !

بروخور : ولماذا أصمت ! ناتا ، يجب أن نراقب آنّـا . سنحتاج الى المفاتيح . مفتاح الخزانة . هي تعرف كل شيء ، آنّا هذه ! أنظري في جيب تنورة فاسّا اذا كان المفتاح فيها . . .

ناتاليا : لا أريد ذلك . انصرف .

بروخور : لن أنصرف !

آنّا (باكية) : ناتاليا سيرغييفنا ، لقد أغمي على لودا .
ناتاليا : استدعي الطبيب .
آنّا : لقد هتفت له . آه ، يا الهي ، ماذا سنفعل الآن ؟
بروخور : أين المفاتيح ؟ مفتاح خزانة النقود ؟
ناتاليا : هل أخبرتم راشيل ؟
آنّا : هل هذا ضروري ، يا ناتاليا سيرغييفنا ؟
ناتاليا : يا لك من قذرة ! (تخرج مسرعة .)
آنّا (ناشجة) : فيم هذا ؟
بروخور : كفي ، كفي عن النشيج ! مفتاح الخزانة ! أينه ؟
آنّا : بروخور بوريسوفيتش ، خدمت ثلاثة عشر عاماً ، لا تنس هذا . لقد خدمت باخلاص . . . (تنبش في جيوب فاسّا .)
بروخور : سوف تنالين ما تستحقين . . .
آنّا : لقد وهبت لك شبابي كله . هاك المفتاح !
بروخور (يخاطب بياتيوركين في طريقه الى الخزانة) : ليوشكا ، لا تترك أحداً يدخل . . . لحظة . . . ما هذا ؟ (في فرح ظاهر .) ما تزالان قاصرتين ، وسأعين وصياً ! يا للشيطان ! فيم أفعل هذا ؟ ايه ؟ (ينظر الى آنّا ويطلق ضحكة قصيرة .) أخرجي من هنا ، يا آنّا . لقد انتهت حياتك هنا ، حياة القطة المفضلة ! اذهبي الى الشيطان ! غداً ! لقد شبعت منك ، أيتها الجاسوسة ! يا وغدة !
آنّا : بروخور بوريسوفيتش ، ستندم على ذلك ! انت تفعل هذا ظلماً . . .

بروخور : انصرفي ! اخرجي من هنا ! لقد قبضت حقـــك ، سرقته . كفاية ! اخرجي من هنا !

آنّا : لا ، لن أسمح لك ! فأنا لديّ . . .

بروخور : بلى ، أعرف ما لديك ! اني عن هذا أتكلم . . .

(تدخل راشيل وناتاليا)

راشيل (الى بروخور الذي ينبش بين الأوراق على المكتب) : وهذا أنت الآن تسرق ؟

بروخور : لماذا ؟ اني آخذ ما يخصني وحسب .

(بوليا تُدخل لودميلا)

لودميلا (تتملص من يديها وتهرول الى الأريكة) : أماه ! أم . . ا . . . ه !

راشيل : ما يخصك ! ما الذي يخصك ؟

ستار